الجزء ٧ المجلد ٥



(دمشق) : تموز سنة ١٩٢٥ م الموافق ذي الحجة سنة ١٣٤٣ ومحرم ١٣٤٤ هـ

شعراء الشام

« في القرن الثالث »

« للسيد خليل مردم بك أُلقيت على اعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق لمناسبة انتخابه عضواً بالمجمع »

تمهيد

القرنُ الثالث من أيمن القرون على العربية وآدابها في كل الأقطار التي دخلت في حوزة العرب ، فلقد أزهرت في ذلك القرن حضارةُ اللغة ، وظهر به من الشعراء والمنشئين والأُدباء الأئمة العظام ، اما بحثنا هذا فمداره على أربعةٍ من شعراء الشام هم : العتّابي ، وابو تمّام الطائي ، وديك الجن ، والبحتري . عسانا نتبين منهم طريقة شعراء الشام في ذلك القرن ، وما لهم من الخصائص التي تميزهم عن غيرهم ، وما هو الأَثر الذي أَثروه في الشعر العربي .

من خصائص الشعر العربي أَنّ له روحاً اذا تراءت للشاعر استخذى لها وملّكها قياده ، وأَعني بذلك أنّ اختلاف أَقطار الشعراء لا يكون له أَثرٌ بيّنٌ في أُسلوبهم البياني بمقدار ما بين أَقطارهم من الفوارق ، فطابع الشعر العربي لا تمحوه طبيعةُ القُطر مهما بعُدَ عن قلب الجزيرة ، وانما تزيدُه وضوحاً او تُلحقُ به بعض إِبهام بحسب طبْع الشاعر ، وعلةُ ذلك : أَن العربَ من أَشدّ الناس ضناً بماضيهم وحنيناً اليه ، فلقد رُوِي عن ابن مقبلٍ الشاعر — الذي أَدرك الجاهلية ومنّ الله عليه بالإسلام

وبدّله بالظلمات نوراً وشهد ما صارت اليه العرب من العزّة — أنه كان يبكي أهل الجاهلية . وأخرى : أن شعرَ العرب أصحبه الله تعالى من الروعة القدسية ما أصحب دينهم الذي ما دان به جيلٌ من الناس الا اصبحوا أكثر تشدداً به من أصحابه .

قال الجاحظ : « فضيلةُ الشعر مقصورةٌ على العرب ، وعلى من تكلم بلسان العرب ، والشعرُ لا يُستطاع ان يُترجَم ، ولا يجوزُ عليه النقل ، ومتى حُوّل انقطع نظمُه وبطلَ وزنه ، وذهب حسنه ، وسقط موضع التعجب منه ، وصار كالكلام المنثور ، والكلامُ المنثورُ المبتدأ على ذلك أحسنُ وأوقعُ من المنثور الذي حُوّل عن موزون الشعر . ثم قال : ولو حُوّلت حكمةُ العرب لبطل ذلك المعجزُ الذي هو الوزن ، مع أنهم لو حوّلوها لم يجدوا من معانيها شيئاً لم تذكره العجم » .

وقال ابن قتيبة : « ليس لمتأخري الشعراء أن يخرجَ عن مذهب المتقدّمين فيقفَ على منزلٍ عامرٍ ويبكي عند مشيّد البنيان ، لأن المتقدّمين وقفوا على المنزل الداثر والرسم العافي . او يرحلَ على حمار او بغل فيصفهما ، لان المتقدّمين رحلوا على الناقة والبعير . أو يردَ على المياه العذبة الجواري ، لأن المتقدّمين وردوا على الأواجن الطوامي . أو يقطع الى الممدوح منابتَ النرجس والورد والآس ، لان المتقدّمين جروا على قطع منابت الشيح والحنوة والعرار » .

فماذا عسى تكونُ بعد ذلك خصائصُ شعراء الشام التي تميزهم عن غيرهم إذا تدبرنا عوامل النسب والبيئة والزمن والموهبة ؟

عاش شعراء الشام في قطر إن أعوزتهم به الفصاحة رفدتهم بها البادية ، وان عافوا بها جفاء الأعراب ، أووا الى حضارةٍ زاخر بحرها ، دعْ عنك اعتدال القُطر وجمالَ طبيعته ، وهم بعدُ إما عرب خُلّص ، او ممن جرى دم العرب في أعراقهم .

قال ابو منصور الثعالبي : « لم يزل شعراء عرب الشام أشعرَ من شعراء عرب العراق وما يجاورها في الجاهلية والإسلام ، والسبب في تبريز القوم قديماً وحديثاً على مَنْ سواهم في الشعر قُربهم من خطط العرب ، ولا سيما أهلَ الحجاز ، وبُعدهم

عن بلاد العجم ، وسلامةُ ألسنتهم من الفساد العارض لألسنة أهل العراق بمجاورة الفُرْس والنَّبَط ومداخلتهم إياهم » .

أظهَرُ مزيةٍ في شعراء الشام التثقيفُ ، وأعني به تهذيبَ شعْرهم ، فشاعرُهم مهما كان مطبوعاً سريع الخاطر ، فانه لا يرمي الكلامَ على عواهنه ، ولا يرسله إرسالاً ، بل ينظر في أعقاب قوافيه ، و يعود عليها بالتنقيح . وقد أشار الى ذلك عَدِيُّ بن الرِّقاع أحدُ شعراء بني أمية ، وكان منزله بدمشق ، وهو من حاضرة الشعراء لامن باديتهم ، قال :

وقصيدةٍ قد بتُّ أجمعُ بينَها حتى أقوِّمَ ميلَها وسِنادَها
نَظَرَ المُثقِّفِ في كُعُوبِ قناتِه حتى يُقيمَ ثِقافُه مُنآدَها

وكان يطعنُ على شعر كُثيِّر ويقول : هذا شعر حجازيٌّ مقرور إذا أصابه قرُّ الشام جمدَ وهلك .

وقال ابو تمَّام الطائي :

قد ثقَّفَتْ منه الشآمُ وسهَّلَتْ منه الحجازُ ورقَّقَتْه المشْرقُ

وقال ايضاً يصف قصيدة له :

جاءتك من نظم اللسان قلادةٌ سمطان فيها اللؤلؤ المكنونُ
أحذاكها صَنَعُ اللسان يَمُدُّه جَفْرٌ اذا نضبَ الكلامُ مَعينُ
ويُسيءُ بالإحسان ظنّاً لا كَمَنْ هو بابنه وبشعره مفتونُ

وقال البحتري في تهذيب الشعر :

حججٌ تُخرس الألدَّ بألفا ظٍ فرادى كالجوهر المعدودِ
ومعانٍ لو فصلتها القوافي هجنت شعر جرولٍ ولبيد
حزن مستعمل الكلام اختياراً وتجنبن ظلمة التعقيد
وركبن اللفظ القريب فأدركـ ـن به غاية المراد البعيد
كالعذارى غدون في الحلل البيـ ـض اذا رحن في الخطوط السود

وكان البحتري يُلقي من كل قصيدة يعملها جميع ما يرتاب به فخرج شعره مهذباً . فالتثقيف إذن خلقٌ في شعراء الشام وهو ما أُطلق عليه اسم الصنعة فيما بعد .

ولكن الغرض الذي يذهب اليه المثقف يختلف باختلاف القائل وزمنه ، فقد يذهب الى الجزالة والحزونة كأبي تمام ، وقد يذهب الى العذوبة والسلاسة كالبحتري ، ولكن التثقيف لا ينفك عنهما . وكذلك اكثر شعراء الشام الذين تقدموهما اوتأخروا عنهما سواءٌ أكانوا من شعراء الصنعة ام المعاني .

ومن مزايا شعراء الشام في القرن الثالث توفرهم على درس الادب العربي ، واشتغالهم بفنونه درساً وتأليفاً ، فلقد ألف العتّابي من الكتب : كتاب المنطق ، وكتاب الآداب ، وكتاب فنون الحكم ، وكتاب الخيل ، وكتاب الالفاظ ، وكتاب الاجواد . وتخرج به في الشعر منصور النمري الشاعر .

وابو تمام الطائي كان له من المحفوظات ما لا يلحقه فيه غيره ، قيل انه كان يحفظ اربع عشرة الف أرجوزة غير القصائد والمقاطيع ، وقال هو عن نفسه : لم انظم الشعر حتى حفظت سبعة عشر ديواناً للنساء خاصة دون الرجال ، وألف من الكتب : كتاب الحماسة ، وكتاب فحول الشعراء ، وكتاب الاختيار من أشعار القبائل ، وكان يعمل ان يدلّ في شعره على علمه باللغة وكلام العرب . والبحتري الف كتاب الحماسة ، وكتاب معاني الشعر . ولعل هذه المزية متوارثة بينهم من قبل القرن الثالث ، قال عديّ بن الرقاع :

وعلمت حتى ما أسائل واحداً … عن علم واحدةٍ لكي أزدادها

فيظهر مما تقدم ان من مزايا شعراء الشام (التثقيف والعلم) فلنبحث عن المثل الاعلى الذي انحوه في شعرهم بواسطة التثقيف والعلم .

قال صاحب الاغاني في ترجمة ديك الجن : انه يذهب مذهب الشاميين في شعره ، فما هو مذهبهم ؟

وقال الثعالبي : « كان الصاحب بن عباد يُعجَب بطريقة الشاميين المثلى التي هي طريقة البحتري في الجزالة والعذوبة والفصاحة والسلاسة ، ويحرص على تحصيل الجديد من أشعارهم ويستملي الطارئين عليه من تلك البلاد ما يحفظونه من تلك البدائع واللطائف حتى كتب دفتراً ضخم التحجم عليها ، وكان لا يفارق مجلسه ولا يملأ أحد منه عينه غيره ، وصار ما جمعه فيه على طرف لسانه وفي سنّ قلة فطوراً

يحاضر به في مخاطباته ومحاوراته ، وتارة يحله او يورده كما هو في رسائله .

وكان ابو بكر الخوارزمي يقول : ما فتق قلبي وشحذ فهمي وصقل ذهني وأرهف حدّ لساني و بلغ هذا المبلغ بي الا تلك الطرائف الشامية واللطائف الحلبية التي علقت بحفظي وامتزجت باجزاء نفسي » .

ومثل هذا الكلام عامٌ منتشر ، فما علينا الا ان نتابع البحث لعلنا ننصف منه .

تبلج فجر القرن الثالث وكان الشعر العربي قد أتمّ طور انتقاله النسبي من البداوة الى الحضارة على يد بشّار بن برد وأصحابه ومن مقتضيات الحضارة التنوّق في كل شيء فشمل ذلك التنوق الشعر . ونشأ عنه تتبع البديع ، وكان العتابي في أوائل القرن الثالث فسلك تلك الطريقة وزاد بها على بشار ، وتلاه ديك الجن فأقبل على الصنعة ، وظلت صنعته سائغة لصدقه في شعره ، فانه لم يستجد به أحداً بل قصره على النسيب ، ووصف الخمر ، ورثاء عشيقته ، وبعض أصدقائه . وفي زمن ديك الجن نبغ ابو تمام الطائي فشغف بالجزالة ، وغاص على المعاني البعيدة ، وانصرف الى الصنعة ، وغلا فيها ، حتى عُدّ الإمام بها ، وعرفت هذه الطريقة بمذهب ابي تمام . وأدرك ابا تمام ابو عبادة البحتري ، وهما من قبيلة واحدة فأخذ عنه وحذا حذوه في البديع ، ولكن قوة طبعه وعذوبة لفظه أخفتْ أثر الصنعة في شعره .

فهؤلاء الاربعة الذين ظهروا من أوائل القرن الثالث الى أواخره كلهم مطبوع على قول الشعر — وان كانوا متفاوتين في ذلك الطبع — وكلهم لم يعتمد على طبعه وحده بل عانى الصنعة .

ولاي شيء بذلوا كل هذه العناية في سبيل اللفظ ؟ علة ذلك مجاراة الرأي السائد ، والتأثر بروح العصر واليك بعض الادلة على هذا الزعم :

كان دعبل الشاعر معاصراً لابي تمام وكان يثلبه و يقول : انه سروق للشعر ، فجاء بعد موت ابي تمام الى الحسن بن وهب ، فقال له رجل في المجلس : أنت الذي تطعن على من يقول :

وأنجدتم من بعد إتهام داركم   فيادمع انجدني على ساكني نجد

فصاح دعبل : أحسن والله وجعل يردد : (فيادمع انجدني على ساكني نجد)

ثم قال رحمه الله : لو كان ترك لي شيئاً من شعره — لقلت انه أشعر الناس . فانظر الى ما فعل به الجناس وكيف استلّ تخيمته ، وأطلق لسانه بتقريظ ابي تمام وبترديد بيته .

والبحتري يقول :

واللفظُ حَليُ المعنى وليس يريـ ـدك الصفو حسناً يريكَه ذهبُـه

وفي كتب البيان والنقد التي أُلفت في القرن الرابع آراء كثيرة تعظم من خطر اللفظ كثيراً ، ولا نمتري في انها كانت الآراء السائدة في القرن الثالث .

قال ابو هلال العسكري : « وليس الشأن في ايراد المعاني ، لان المعاني يعرفها العربي والعجمي والقروي والبدوي ، وانما هو في جودة اللفظ وصفائه ، وحسنه وبهائه ، ونزاهته ونقائه ، وكثرة طلاوته ومائه ، مع صحة السبك والتركيب ، والخلو من أود النظم والتأليف ، وليس يطلب من المعنى الا ان يكون صوابا ، ولا يقنع من اللفظ بذلك حتى يكون على ما وصفناه من نعوته التي تقدمت » .

وقال ايضاً : « المعاني مشتركة بين العقلاء ، فربما وقع المعنى الجيد السوقي والنبطي والزنجي ، وانما تتفاضل الناس في الالفاظ ورصفها وتأليفها ونظمها » .

وقال الآمديّ في كتاب الموازنة : « وليس الشعر عند أهل العلم به الا حسن التأتي وقرب المأخذ واختيار الكلام ووضع الالفاظ في مواضعها ، وان يورَد المعنى باللفظ المعتاد فيه المستعمل في مثله وان تكون الاستعارات والتمثيلات لائقة بما استعيرت له وغير منافرة لمعناه ، فان الكلام لا يكتسي البهاء والرونق الا اذا كان بهذا الوصف ، الى ان قال : فان اتفق مع هذا معنى لطيف او حكمة غريبة اوادب حسن فذلك زائد في بهاء الكلام ، وان لم يتفق فقد قام الكلام بنفسه ، واستغنى عما سواه » .

تمثل هذه الآراء وهذه الاعتبارات اقبل الشعراء على الصنعة اللفظية ، ونحن لا نتعرض الى البحث في كونهم على خطأ او صواب في ذلك ، وانما نريد ان نقولَ : هكذا كانت روحُ ذلك العصر ، وهكذا كان النقاد ينظرون الى جودة الكلام .

ولا أُريد ان اقفَ بك عند هذا الحد فتظن أن شعراء الشام انصرفوا الى اللفظ ولم يحفلوا بالمعني ، كلا فهم ليسوا كذلك ، وانما حاولوا ان يبرزوا معانيهم باروع صورة

من صور الجمال اللفظي في المفردات والتراكيب ، ولكن لامناص من التصريح بانهم لم يلتفتوا الى المعنى بمقدار ما التفتوا الى اللفظ متأثرين بالرأي السائد ، واليك شيئاً منه وان كنت قد وقفت على بعضه عند الكلام على اللفظ :

قال ابو هلال العسكري : « أطبق المتقدمون والمتأخرون على تداول المعاني بينهم فليس على احد فيه عيبٌ الا اذا اخذه كله او أخذه فافسده وقصر فيه عمن تقدّمه .

وقال الآمدي : أما أخذ البحتري بعض معاني ابي تمام فليس بمانع من أن يكون اشعرَ منه ».

ومع ذلك فشعراء الشام لم يقصروا في معانيهم ، فابو تمام معدودٌ من اكثر الشعراء المحدثين اختراعاً للمعاني ، والبحتري قلّ من جاراه في تأليف المعاني وتنسيقها ، وعندي انه — في دقة وصفه وبعد نظره ، وحسن الاداء عما ينفعل به من المشاهد — اشعر بكثير ممن يأتيك بمعنى أبترَ — لكنه مخترع — وقريبٌ من البحتري ديك الجن والعتابي .

فمزايا شعراء الشام في القرن الثالث : (التثقيفُ) و (العلم) و (الاستقصاء) و (الجزالة) من غير إغرابٍ و (العذوبةُ) و (السلاسة) من غير تخنث . ومجموع ذلك يمكنك ان تسميه مذهب الشاميين الذين تولوا زعامة الشعر في القرن الثالث ، وتمذهب بمذهبهم شعراء بقية الأقطار .

وفي ترجمة كلٍّ من العتّابي وابي تمام الطائي وديك الجن والبحتري على حدة ماينهضُ دليلاً على رُجحان هذا الزعم ، ويقوم حجةً على صحة هذه الدعوى .

* * *

العتابي

كلثوم بن عمرو العتّابي وكنيته ابو عمرو يتصل نسبه بعمرو بن كلثوم التغلبي الشاعر أحد أصحاب المعلّقات ، واصل العتّابي من الشام من ارض قنسرين وكان يقيم في رأس عين . أدرك بشار بن برد وهو حدث وانشده شعره ، وصحب البرامكة ثم صحب طاهر بن الحسين وعلي بن هشام القائدين ووفد على الرشيد والمأمون ، وتلمذله في الشعر منصور النمري وكان راويته ، وكان محمد بن موسى الضبي راويته ايضاً .

وكاتبه عبد الله بن خراش من أهل الشام معدود من البلغاء ، توفي العتّابي في حدود العشرين والمائتين وكان تزهد .

هو شاعر معدود في الشعراء المقدمين وكاتب مترسل بليغ وخطيب واديب مصنف وله من الكتب : كتاب المنطق ، وكتاب الآداب في المواعظ والآداب والحكم ، وكتاب فنون الحكم ، وكتاب الخيل ، وكتاب الالفاظ قال ابن النديم : انه طريف ، وكتاب الأجواد ، وله ديوان شعر يدخل في مائة ورقة . ولأحمد بن ابي طاهر كتاب في اختيار شعره . وكان العتّابي ممن بعمل الخرافات والأسمار على ألسنة الحيوان وغيره .

كل هذه الكتب لم يُبق الدهر على شيء منها في ما نعلم وليس لدينا ما ينقع الغلة من أخبار الرجل ولم يبق من شعره ونثره الا النزر اليسير مبثوثاً في كتب الأدب فنسترشد الله ونستهديه في التحدث عنه مع قلة المواد .

عاش الرجل بعيداً عن دور الخلفاء التي كانت مهوى أفئدة الشعراء ومنتجعهم ، وكان في طبعه عزوف عن المخالطة وميل الى العزلة ، ويظهر انه قضى شطراً غير قصير من حياته عزباً ، فقد قيل له : لو تزوجت فقال : اني وجدت مكابدة العفة خيراً من الاحتيال لمصلحة العيال ، وكان مستغنياً عن معاشرة الناس بكتاب له ، قال محمد بن حرب : رأيت العتّابي ينادم كلباً ، يشرب كأساً ويولغه كأساً ، فكلمته في ذلك فقال : انه يكف عني أذاه ، وأذى سواه ، ويشكر قليلي ، ويحفظ مبيتي ومقيلي ، فهو من بين الحيوان خليلي . قال ابن حرب : فتمنيت ان اكون كلباً لاحوز هذا النعت . ويدل على كونه فقيراً قوله :

اني امرؤ هدم الإقتار مأثرتي ... واجتاح مابنت الايام منخطري

ولكنه راضٍ عن فقره وقانع بالذي ناله من ثروة الأدب ، قيل انه كان جالساً ذات يوم ينظر في كتاب فمرّ به بعض جيرانه فقال ايش ينفع العلم والأدب من لا مال له ؟ فأنشد يقول :

يا قاتل الله اقواماً اذا نقفوا ... ذا اللب ينظر في الآداب والحكم
قالوا وليس بهم الا نفاسته ... أنافعٌ ذا من الإقتار والعدم

وليس يدرون ان الحظ ما حرموا لحاهم الله من علم ومن فهم

وقال في الكتب :

لنا ندماء ما نملُّ حديثهم أمينون مأمونون غيباً ومشهدا
يفيدوننا من علمهم علم ما مضى ورأياً وتأديباً وأمراً مسدّدا
بلا علة تُخشى ولا خوف ريبةٍ ولا نتقي منهم بناناً ولا يدا
فان قلت هم احياء لست بكاذب وان قلت هم موتى فلست مفندا

ودلّ على انه كان قصيراً قوله :

نهى ظراف الغواني عن مواصلتي ما يفجأ العين من شيبي ومن قصري

وكان ينظر الى اكثر الناس نظره للبهائم ، قال عثمان الوراق : رأيت العتابي يأكل خبزاً على الطريق بباب الشام فقلت له ويحك أما تستحي ؟ فقال لي : أرأيت لو كنا في دار فيها بقر كنت تستحي وتحتشم ان تأكل وهي تراك ؟ فقلت لا ، قال فاصبر حتى أعلمك انهم بقر ، فقام فوعظ وقصّ ودعا حتى كثر الزحام عليه ثم قال لهم : روى لنا غير واحد انه من بلغ لسانه أرنبة أنفه لم يدخل النار فلم يبق احد الا واخرج لسانه يومئ به نحو ارنبة أنفه ويقدّره حتى يبلغها ام لا ، فلما تفرقوا قال لي العتابي : الم أخبرك انهم بقر ؟

اما اتصاله بالرشيد فقد كان بطلب واستدعاء ، روي انه بلغ الرشيد قصيدة قالها فأعجب بها فطلب إشخاصه اليه ولذلك خبر غريب يدل على استيحاشه من القدوم على الخليفة ، فقد روي انه وافى الرشيد وعليه قميص غليظ وفروة وخفّ وعلى كتفه ملحفة جافية بغير سراويل ، وكانت المائدة اذا قدمت اليه اخذ منها رقاقةً وملحاً وخلط الملح بالتراب فاكله بها ، فاذا كان وقت النوم نام على الارض .

وصحب ايضاً البرامكة الذين أُعجبوا بفصاحته كثيراً ، قال خالد البرمكي لولده : إن قدرتم ان تكتبوا انفاس كلثوم بن عمرو العتابي فضلاً عن رسائله وشعره فلن تروا ابداً مثله .

ووفد بعد الرشيد على المأمون ولكن بعد ان كتب باشخاصه اليه ، وكان المأمون يجله كثيراً ، قال جعفر بن المفضل : رأيت العتابي جالساً بين يدي المأمون وقد أسنّ

فلما اراد القيام قام المأمون فاخذ بيده واعتمد الشيخ على المأمون فما زال ينهضه رويداً رويداً حتى اقله فنهض فعجبت من ذلك وقلت لبعض الخدم ما اسوأ ادب هذا الشيخ فمن هو ؟ قال العتابي ·

ولكنه مع كل ما رأى من الحفاوة والقبول ، وما شهده من مظاهر الحضارة في بغداد وتوفر اسباب الترف ما زالت نفسه تحن الى العزلة وتقنع بما يسد العوز ، روي ان امرأته لامته وقالت له : هذا منصور النمري قد اخذ الاموال فحلى نساءه وبنى داره واشترى ضياعاً وانت ههنا كما ترى فانشأ يقول :

تلوم على ترك الغنى باهلية زوى الفقر عنها كل طرف وتالد
رأت حولها النسوان يرفلن في الثرى مقلدة اعناقها بالقلائد
اسرك اني نلت ما نال جعفر من العيش او ما نال يحيى بن خالد
وان امير المؤمنين اغصني بغصهما بالمشرفات البوارد
رأيت رفيعات الامور مشوبة بمستودعات في بطون الأساود
دعيني تجيئني ميتتي مطمئنة ولم أتجشم هول تلك الموارد

وقد قيل له : لم لا تقصد السلطان فتخدمه ؟ فقال : لأني أراه يعطي واحداً لغير حسنة ولا يد ، ويقتل الآخر بلا سيئة ولا ذنب ، ولست ادري اي الرجلين انا ، ولست ارجو منه مقدار ما أخاطر به ·

اما طريقته في شعره فطريقة التنقيح والتهذيب والتمحيص وتخير الصور الجميلة من الالفاظ الجزلة من غير إغراب ، وهو في المحدثين كالنابغة في الجاهلية — والنابغة منفرد بحسن الديباجة وكثرة الرونق والجزالة وخلوّ شعره من العيوب — ولم يصل العتّابي الى هذه المنزلة الا بعد الدرس الطويل ، ولا يفسر اجتماعه ببشار بن برد وهو حدث في العراق الا بالرحلة في طلب الادب ولقد جرى على سنن بشار في شعره قالوا : اول من فتق البديع من المحدثين بشار بن برد وابن هرمة ثم اتبعهما مقتدياً بهما كلثوم بن عمرو العتّابي ومنصور النمري ومسلم بن الوليد وابو نواس ·

قيل ان الرجل شاعر مطبوع متصرف في فنون الشعر واستدلوا على جودة طبعه وعدم تكلفه بقوله :

رسل الضمير اليك تترى بالشوق ظالعة وحسرا
متزجيات ما ينين على الوجا من بعد مسرى
ما جف للعينين بعدك يا قرير العين مجرى
فاسلم سلمت مبرأ من صبوتي أبداً معرّى
ان الصبابة لم تدع مني سوى عظم مبرّى
ومدامعٍ عبرى على كبدٍ عليك الدهر حرّى

ولئن صح هذا المثال على طبعه فقلما يصح في غيره من شعره لان اشتغاله بالأدب ومعاناته التأليف واقتفاءه الطريقة المتبعة في الشعر وقتئذ جعله لا يقتصر في الاعتماد على طبعه ، فأثر الصنعة ظاهر في اكثر شعره ، وكيف لا يكون ذلك وهو يقول : « الألفاظ أجساد والمعاني أرواح ، وانما تراها بعيون القلوب ، فاذا قدمت منها مؤخراً او أخرت منها مقدّماً ، أفسدت الصورة وغيرت المعنى ، كما لو حوّل رأس الى موضع يد ، او يد الى موضع رجل ، لتحولت الخلقة وتغيرت الجبلة » .

أية صنعة هذه ؟ هي صنعة المصور البارع الذي يرسم الصورة بأبهى مظهر ثم يغشيها من متناسب الألوان ما يزيدها بهجةً وروعةً ثم لا ينسى ان يمدّ لها الظل .

ولكن أتراه قادراً على العمل بشرطه ؟ فإليك مثالاً من شعره الذي يبدو عليه أثر الصنعة الرائعة قال :

وأشعثَ مشتاقٍ رمى في جفونه غريب الكرى بين النجاج السباسب
أمات الليالي شوقه غير زفرةٍ تردّد ما بين الحشا والترائب
سحبتُ له ذيل السرى وهو لابس دجى الليل حتى مج ضوء الكواكب
ومن فوق أكوار المطايا لبانةٌ أحلّ لها اكل الذرى والغوارب
اذا ادّرع الليل انجلى وكأنه بقية هنديٍّ حسام المضارب
بركب ترى كسر الكرى في جفونهم وعهد الفيافي في وجوه شواحب

فأي مصور يصور ذلك الاشعث المشتاق فوق أكوار المطايا وهو لابس دجى الليل بركب بدا كسر الكرى في أجفانهم ونطق عهد الفيافي في أوجههم الشاحبة مثل هذا التصوير ، ولو واتاه ذلك أتراه قادراً على تصوير تلك الزفرة المتردّدة بين

الحشا والترائب وهاتيك اللبانة التي أحل لها اكل الذرى والغوارب كما صورها العتّابي بأشرف لفظ ؟ .

وروي ان الشعراء ازدحموا بباب المأمون فقال لهم علي بن صالح : هل فيكم من يحسن ان يقول كما قال أخوكم العتّابي ؟ .

ما ذا عسى مادح يثني عليك وقد ناداك في الوحي تقديس وتطهيرُ
فت المادح الا ان السننا مستنطقات بما تحوي الضمائير

قالوا : لا والله ما منا أحد يحسن ان يقول مثل هذا وانصرفوا .

وقال دعبل : ما حسدت احداً قط على شعر كما حسدت العتّابي على قوله :

هيبة الاخوان قاطعةٌ لاخي الحاجات عن طلبه
فاذا ما هبتَ ذا أملٍ مات ما أملت من سببه

ومن شعره قوله في السحاب :

والغيم كالثوب في الآفاق منتشر من فوقه طبق من تحته طبقُ
تظنه مصمتًا لا فتق فيه فإن سالت عزاليه قلت الثوب منفتق
ان معمع الرعد فيه قلت منخرقٌ او لألأ البرق فيه قلت محترق

وقوله :

لومٌ يعيذك من سوء تقارفه ابقى لعرضك من قول يداجيكا
وقد رمى بك في تيهاء مهلكة من بات يكتمك العيب الذي فيكا

واغتاظ منه الرشيد مرة فطلبه فستره جعفر بن يحيى واستعطف الرشيد عليه فقال فيه :

مازلت في غمرات الموت مطّرحا يضيق عني فسيح الرأي من حيلي
فلم تزل دائبًا تسعى بلطفك لي حتى اختلست حياتي من يدي اجلي

وبلغه ان عمرو بن مسعدة ذكره عند المأمون بسوء فقال :

قد كنت أرجو ان تكون نصيري وعلى الذي يبغي علي ظهيري
وطفقت آمل ما يرجى سيبه حتى رأيت تعلقي بغرور
فحضرتُ قبرك ثم قلت دفنته ونفضت كفي من ثرى المقبور

ورجعت مفترياً على الامل الذي قد كان يشهد لي عليك بزور

فركب عمرو في موكبه واعتذر اليه .

هذا النمط من الشعر — شعر النفوس المطمئنة الهادئة التي لم تطمح الى زخرف الدنيا ولم تمقتها لرأي فلسفي ولم يلح عليها حب مبرح — لا يوقظ في نفس سامعه ثورة ولا يطفئ منها جمرة ولكنه صورة متناسقة تسعد بها العين ، ونغمة هادئة تلذ السمع ، فهو شعر الدرس والتهذيب في التصور والتصوير .

* * *

اما رسائله فقد ذكروا انه كان حسن الاعتذار فيها ، ولكننا لم نقف منها على ما يفسح للبحث مجالاً رحباً يستقيم فيه إبداء الرأي وانما اطلعنا على رسالتين صغيرتين نقلهما ياقوت في معجم الادباء ، قال ومن منثور كلامه :

اما بعد : فانه ما من مستخلص غضارة عيش الا من خلال مكروه ، ومن انتظر بمعاجلة الدرك مؤاجلة الاستقصاء سلبته الايام فرصتها .

وكتب الى آخر : من اجتمع فيه من خلال الفضل ما اجتمع فيك وانحاز الى نواحيك ، لم يخش المطنب في الثناء عليك ان يكون مفرطاً كما لا يأمن ان يكون مفرّطاً ، فالاعتراف بالعجز عن بلوغ استحقاقك من التفريط اولى من الاطناب الذي غايته التقصير ومآله الى الحشو .

وروى له القالي رسالة كتبها الى صديق له وهي :

اما بعد : أطال الله بقاءك ، وجعله يمتدُّ بك الى رضوانه والجنة ، فانك كنت عندنا روضة من رياض الكرم ، تبتهج النفوس بها ، وتستريح القلوب اليها ، وكنا نعفيها من النجعة استتماماً لزهرتها ، وشفقة على خضرتها ، وادخاراً لثمرتها ، حتى أصابتنا سنة كانت عندي قطعة من سني يوسف ، واشتد علينا كلبها ، وغابت قطتها ، وكذبتنا غيومها ، واخلفتنا بروقها ، وفقدنا صالح الاخوان فيها ، فانتجعتك وانا بانتجاعي إياك شديد الشفقة عليك ، مع علمي بانك موضع الرائد ، وانك تغطي عين الحاسد ، والله يعلم اني ما أعدك الا في حومة الأهل ، واعلم ان الكريم اذا استحيى من إعطاء القليل ، ولم يمكنه الكثير ، لم يعرف جوده ، ولم تظهر همته ، وانا أقول في ذلك :

ظل اليسار على العباس ممدودُ وقلبه ابداً بالبخل معقودُ
ان الكريم ليخفي عنك عسرته حتى تراه غنياً وهو مجهودُ
وللبخيل على امواله علل زرق العيون عليها اوجه سودُ
اذا تكرمت عن بذل القليل ولم تقدر على سعة لم يظهر الجود
بث النوال ولم يمنعك قلته فكل ما سد فقراً فهو محمود

قال فشاطره ماله حتى اعطاه إحدى نعليه ونصف قيمة خاتمه ·

وطريقته في ذلك كطريقته في شعره من حيث الصنعة اللفظية ، ومعانيه في شعره احسن واوضح منها في هذه الرسائل · نعم من العبث ان يحكم الانسان على ترسله من هذا القدر القليل ، ولكن للعتابي نفسه فقرة تدلنا على الطريقة التي كان يتبعها في رسائله ، قيل له بما قدرت على البلاغة ? قال بحل معقود الكلام · يريد بنثر النظم ومن ذلك ما كتبه الى صديق له وقد انكر عليه شيئاً ·

إما ان تقر بذنبك فيكون إقرارك حجة علينا في العفو عنك ، والا فطب نفساً بالانتصاف منك فان الشاعر يقول :

أقرر بنفسك ثم اطلب تجاوزنا عنه فان جحود الذنب ذنبان

وذلك اعتراف منه باستعارة معاني غيره وهي طريقة لو انتفع بها العتابي فقلما ينتفع بها غيره لان الوقت الذي يقضيه الانسان في استظهار الاشعار ليحل معقودها ويكون على ذكر مما يلائم الغرض الذي اليه يقصد ، لو قضى بعضه في التفكير وترويض النفس على تصيد المعاني لكان أجدى عليه ، ولو لم يكن العتابي واسع العلم بالأدب كثير الرواية للشعر لما استقام له حل المعقود ·

* * *

حدثناك عن العتابي شاعراً وكاتباً مترسلاً وبقي علينا ان نحدثك عنه خطيباً فقد قال الجاحظ : « ومن الخطباء الشعراء ممن كان يجمع بين الخطابة والشعر الجيد والرسائل الفاخرة مع البيان الحسن كلثوم بن عمرو العتابي وعلى الفاظه وحذوه ومثاله في البديع يقول جميع من يتكلف مثل ذلك من شعراء المولدين » ·

ولكن اين خطبه ? وفي اي معنى كان يخطب ? لم نطلع على شيء منها ومع

ذلك فاننا نقول ان صفة الخطيب بارزة فيه اكثر من صفة الشاعر والكاتب ، ولعلك تعجب من هذا الزعم ، فأرعني سمعك يزل عجبك .

دخل العتّابي على المأمون فقال له : يا كلثوم بلغتني وفاتك فساءتني ، ثم بلغتني وفادتك فسرتني ، فقال له : يا امير المؤمنين لو قسمت هاتان الكلمتان على اهل الارض لوسعتاها فضلاً وإنعاماً ، وقد خصصتني منهما بما لا يتسع له أمنية ولا يبسط لسواه أمل ، لانه لا دين الا بك ولا دنيا الا معك . فقال له سلني ، فقال : يدك بالعطاء أطلق من لساني بالسؤال .

ووقف العتّابي بباب المأمون يلتمس الوصول اليه فصادف يحيى بن اكثم فقال له : استأذن لي على امير المؤمنين ، فقال له : لست بحاجبه ، قال العتّابي : فان لم تكن حاجباً فقد يفعل مثلك ما سألت ، واعلم ان الله عزّ وجلّ جعل في كل شيء زكاة ، وجعل زكاة المال رفد المستعين ، وزكاة الجاه إغاثة الملهوف ، واعلم ان الله عزّ وجلّ مقبل عليك بالزيادة ان شكرت ، او التغيير ان كفرت ، واني لك اليوم اصلح منك لنفسك ، لاني ادعوك الى ازدياد نعمتك وانت تأبى . فقال له يحيى أفعل وكرامة .

وكلم العتّابي يحيى بن خالد في حاجة بكلمات قليلة فقال له يحيى : لقد ندر كلامك اليوم وقلّ ، فقال له : وكيف لا يقل ؟ وقد تكنفني ذلّ المسألة ، وحيرة الطلب ، وخوف الرد .

ووجد عليه الرشيد فدخل سراً مع المتظلمين بغير إذن وقال له : يا امير المؤمنين قد آذاني الناس لك ولنفسي فيك ، وردّني ابتلاؤهم الى شكرك ، وما مع تذكرك قناعة بغيرك ، ولنعم الصائن لنفسي كنتُ ، لو اعانني عليك الصبر .

وقال له مالك بن طوق : اما ترى عشيرتك — يعني بني تغلب — كيف تدل عليّ وتستطيل وانا اصبر ، فقال العتّابي : ايها الأمير ان عشيرتك من احسن عشرتك ، وان عمك من عمك خيره ، وان قريبك من قرب منك نفعه ، وان احب الناس اليك اخفهم ثقلاً عليك .

فقل لي ايها القارئ رعاك الله أليس هذا الأسلوب من القول أسلوباً خطابياً ، وكيف لا يكون من يرتجل مثل ما سمعت خطيباً مصقعاً ؟ فالعتّابي اذاً خطيب مفوّه

شديد العارضة سريع الخاطر لا يتلجلج ولا يتوقف ، وهو لا يقر بالبلاغة الا لمن كان كذلك ، فقد سأله صديق له عن البلاغة فقال : كل ذي كلام افهمك صاحبه حاجته من غير إعادة ولا حبسة ولا استعانة فهو بليغ ، فقال له السائل : قد عرفت الإعادة والحبسة وما الاستعانة ؟ قال اما تراه اذا تحدث قال عند مقاطع كلامه يا هناه ! اسمع مني ، واستمع اليّ ، وافهم ، وألست تفهم ، هذا كله عي وفساد ٠

ولو ارسل العتّابي نفسه على سجيتها في شعره ورسائله كما كان يرسلها في كلامه لأتى بالرائع من الشعر والترسل وان كان الذي اتى به غاية في الحسن ٠

وبعد فالعتّابي شاعر بارع ، ومترسل فصيح ، وخطيب مفوّه ، واديب كبير ، ومؤلف محسن ، واستاذ منجب ، وقد جوّد في كل ما عاناه من ذلك ، وقلما اجتمعت هذه الصفات في غيره ، ولعله لو انصرف لواحدة منها لكان بها عبقرياً ٠

للبحث صلة

نظم العقيان

في اعيان الاعيان

« للعلامة جلال الدين السيوطي »

— مخطوطة —

ظفرتُ مؤخراً في بيروت بمخطوطة حديثة موسومة « نظم العِقيان في اعيان الاعيان » تأليف الامام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن بكر السيوطي ٠ وهي بخط جميل أنيق ٠ ولدى البحث تبين انها منقولة عن مخطوطة قديمة لا أُخت لها في البلدان العربية محفوظة في خزانة الكتب التيمورية في القاهرة ٠ فاستأذنت احمد تيمور باشا بمعارضة النسختين وسعادته تكرم باعارتي المخطوطة الأُم ٠

المخطوطة التيمورية صفحاتها ٩٥ من القطع الوسط (مخطوطة بيروت ، صفحاتها ١١٧ من القطع الكبير) وهي مكتوبة بخط واضح جلي على ورق ابيض صقيل جاء في آخرها : « وكان الفراغ منها نهار الاربعاء ١٤ صفر الخير سنة ١٠٩٧ (١٦٨٥ م)

شديد العارضة سريع الخاطر لا يتلجلج ولا يتوقف ، وهو لا يقر بالبلاغة الا لمن كان كذلك ، فقد سأله صديق له عن البلاغة فقال : كل ذي كلام افهمك صاحبه حاجته من غير إعادة ولا حبسة ولا استعانة فهو بليغ ، فقال له السائل : قد عرفت الإعادة والحبسة وما الاستعانة ؟ قال اما تراه اذا تحدث قال عند مقاطع كلامه يا هناه ! اسمع مني ، واستمع اليّ ، وافهم ، وألست تفهم ، هذا كله عي وفساد .

ولو ارسل العتّابي نفسه على سجيتها في شعره ورسائله كما كان يرسلها في كلامه لأتى بالرائع من الشعر والترسل وان كان الذي اتى به غاية في الحسن .

وبعد فالعتّابي شاعر بارع ، ومترسل فصيح ، وخطيب مفوّه ، واديب كبير ، ومؤلف محسن ، واستاذ منجب ، وقد جوّد في كل ما عاناه من ذلك ، وقلما اجتمعت هذه الصفات في غيره ، ولعله لو انصرف لواحدة منها لكان بها عبقرياً .

للبحث صلة

نظم العقيان

في اعيان الاعيان

« للعلامة جلال الدين السيوطي »

— مخطوطة —

ظفرتُ مؤخراً في بيروت بمخطوطة حديثة موسومة « نظم العِقيان في اعيان الاعيان » تأليف الامام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن بكر السيوطي . وهي بخط جميل أنيق . ولدى البحث تبين انها منقولة عن مخطوطة قديمة لا أُخت لها في البلدان العربية محفوظة في خزانة الكتب التيمورية في القاهرة . فاستأذنت احمد تيمور باشا بمعارضة النسختين وسعادته تكرم باعارتي المخطوطة الأُم .

المخطوطة التيمورية صفحاتها ٩٥ من القطع الوسط (مخطوطة بيروت ، صفحاتها ١١٧ من القطع الكبير) وهي مكتوبة بخط واضح جلي على ورق ابيض صقيل جاء في آخرها : « وكان الفراغ منها نهار الاربعاء ١٤ صفر الخير سنة ١٠٩٧ (١٦٨٥ م)

على يد الفقير ابراهيم بن سليمان بن محمد بن عبد العزيز الحنفي الجينيني كتبها لنفسه ولمن شاء الله تعالى من بعده غفر له آمين . فيكون عمرها ٢٤٠ سنة شمسية .

راجعت المؤلفات الافرنجية والعربية في تاريخ آداب اللغة العربية وفي جملتها تآليف بركلمان (Brockelmann) الالماني ونكلسون (Nicholson) الانكليزي وهوار (Huart) الافرنسي وجرجي زيدان فلم أحظ باشارة الى هذا المؤلف للسيوطي او بذكر له . والسيوطي الذي عاش سنة ٨٤٩ — ٩١١ (١٤٤٥— ١٥٠٥م) ذكر عن نفسه في حسن المحاضرة أن مؤلفاته كانت قد بلغت عندئذ ثلاثمائة كتاب . ولكن « نظم العقيان » ليس بينها . اما فلوغل (Flugel) فلقد جمع قائمة كتب السيوطي عددها ٥٦١ ولم يذكر في جملتها الكتاب الذي نحن بصدده .

على أني اخيراً استشرت حاجي خليفة فوجدته يذكر الكتاب في« كشف الظنون» مرةً تحت « نظم » وأُخرى تحت « اعيان » مما لم يبق اثر للشك في ان السيوطي كتب كتاباً هذا عنوانه .

عمدت عندئذٍ الى تقارير المكاتب الشرقية في اوربا واميركا ، فلم اظفر بذكر لهذه المخطوطة . فتبادر الى ذهني ان نسخ هذا الكتاب مع انها كانت معروفة في ايام حاجي خليفة فانها الآن اصبحت نادرة اومفقودة ، وان النسخة التيمورية هي الوحيدة من نوعها ، ونسخة بيروت منقولة عنها .

وكيما اتأكد صدق هذا الاستنتاج كاتبت الاستاذ نكلسون في جامعة كمبردج وهو لفت انظاري الى تقرير مكتبة ليدن في هولاندة تحت رقم ٨٧٣ حيث يذكر التقرير مخطوطة للسيوطي عنوانها « اعيان الاعيان وابناء الزمان » . ولقد علق الاستاذ دوزي (Dozy) جامع التقرير ملاحظة مفادها ان هذه المخطوطة هي « وحيدة » واضاف الى ذلك ان السيوطي المؤلف سمي الكتاب في مقدمته « نظم العقيان في اعيان الأعيان » مما يثبت ان المؤلف هو هو بعينه وان مخطوطة ليدن ومخطوطة القاهرة كتاب واحد .

مخطوطة ليدن — حالما تيقنت وجود نسخة ثانية من هذه المخطوطة في ليدن خابرت الاستاذ المعروف سنوك هرغرنيه (Snouck Hurgronje) لنقلها بالتصوير .

وهو تفضل بمشارفة نقلها وارسالها لي الى نيو يرك حيث جرت مقابلتها مع أختها · ولدى الدرس تبين انها مخرومة ، وان ناقلها هو احمد بن احمد بن حسن الدويني الحسني ، وذلك سنة ٩٧٤ ، مما يجعل عمرها ١٢٣ سنة اكثر من عمر المخطوطة التيمورية · ولما كان فيها اغلاط نحوية وصرفية وتاريخية تقابل الاغلاط نفسها في المخطوطة التيمورية كان لاشك في وجود علاقة بين النسختين · وربما كانت النسخة الميدنية هي التي اعتمد عليها (او على نسخة منها) الجينيني ناقل النسخة التيمورية ·

الجينيني ومن هو — الجينيني ترجمه المرادي « في سلك الدرر » في اعيان القرن الثاني عشر (١ : ٦) وذكر انه ولد حوالي (١٦٣٠م) في جينين من اعمال نابلس · ثم رحل الى دمشق واستوطنها · وكتب كتباً عديدة بخطه ، وكان له معرفة في اسماء الكتب ومؤلفيها والاسماء والالقاب · وختم المرادي ترجمته بقوله « انه كان من محاسن دمشق وتوفي بها يوم الثلاثاء سادس صفر سنة ثمان ومئة والف (١٦٩٦م) ودفن بتربة باب الصغير » ·

لم يكن الجينيني ناسخاً فحسب بل كان مصححاً على ما ذكر هو عن نفسه في آخر نسخته من قوله : « وقد كتبت هذه النسخة من نسخة سقيمة · اصلحت ما قدرت عليه من التواريخ · وبها بياض كثير في الوفيات والمواليد · وبرغم هذا التصريح فان نسخة الجينيني لم تزل سقيمة وفيها كثير من البياض والاغلاط ·

اما نسخة بيروت عن التيمورية فلقد تصرف بها الناسخ واصلح ما شاء ·

مكانة الكتاب — تقوم مكانة الكتاب في انه جمع لنا مئتين ترجمة وترجمة من كبار اعيان العالم الاسلامي من رجال ونساء في القرن التاسع للهجرة (الخامس عشر للمسيح) في مصر وسورية والحجاز والعراق والاندلس من سلاطين (عثمانيين ومغول) وقضاة ومقرئين ومحدثين وشعراء وفلكيين ورجال سياسة · ومعظم هؤلاء من معاصري المؤلف السيوطي · وبعضهم ممن عرفهم السيوطي معرفة شخصية ، مما يجعل لكلامه شأناً خاصاً · وفي ترجمة هؤلاء الاعلام ذكر السيوطي سنة الميلاد والوفاة واسماء الشيوخ والمصنفات واول سنة ميلاد يذكرها هي لاحمد بن حسن بن علي بن عبد الكريم شهاب الدين العثماني الذي ولد سنة ٧٢٤

ومن المترجمين زكريا بن محمد بن احمد المتوفى سنة ٩٢٦ من عاش الى ما بعد وفاة المؤلف نفسه .

ولقد رتب السيوطي المترجمين على احرف الهجاء واولهم ابراهيم بن احمد بن ناصر ابن خليفه بن فرج الباعوني ثم الدمشقي قاضي قضاة دمشق المولود سنه ٧٧٦ ، وآخرهم يوسف بن شاهين الكركي المحدث جمال الدين ابوالمحاسن المولود سنة ٨٣٨ .

واليك لائحة اسماء بعض المترجمين من ذوي الشأن : ابن خضر الفقيه المشارك ابن ظهيرة برهان الدين قاضي مكة — الحافظ برهان الدين ابراهيم البقاعي — ابن حجر العسقلاني — ابن تيمورلنك — الشهاب الحجازي — الشهاب المنصوري — الملك الاشرف إينال العلائي — الشريف بركات امير مكة — ابن مزهر الدمشقي — الملك الظاهر ابو سعيد سلطان العراقين حسن بيك — القائم بامر الله حمزة بن المتوكل الملك الكامل الايوبي — زينب بنت العراقي — زينب بنت السبكي السلطان . سعد ابن الاحمر المستكفي بالله العباسي — التلمساني — السخاوي . البلقيني — السلطان محمد الفاتح — الملك العزيز يوسف بن برسباي الخ .

وفضلاً عن ذلك فالكتاب مرآة تجلى فيه الاحوال الاجتماعية والادبية في اواخر عصر المماليك وهو العصر الذي عاش فيه المؤلف . ومع ان الادباء يومئذ كانوا يشتغلون بتوافه الامور احياناً « كالالغاز في مسك » وفي « دمّل الشهاب الحجازي » ويعمدون الى الاسترسال في الاسلوب وتنميق الالفاظ بصرف النظر عن المعاني فمع ذلك نجد في الكتاب وصف حوادث مهمة تزيد معرفتنا حوادث تلك الايام .

مثال من التراجم — « عبد السلام بن احمد بن عبد المنعم بن محمد بن احمد القيلوي ، نسبة الى قيلويه كنفطويه قرية ببغداد ، البغدادي ، الامام العلامة عز الدين الحنفي ولد سنة ثمانين وسبعمائة تقريباً وقيل سنة ست وسبعين . واخذ انواع العلوم عن مشايخ بغداد ، وبرع في فقه الحنفية والشافعية والحنابلة ، وكان يقرئ المذاهب الثلاثة ، وفي اصول الكلام والعربية والمعاني والبيان والمنطق والجدل . دخل القاهرة سنة عشر وثمانمائة فأخذ علم الحديث عن الحافظ ولي الدين العراقي ، وسمع منه ومن الشرف ابن الكويك والجمال الحنبلي وغيرهم . وكان مع تفننه في العلوم خيراً زاهداً

قانعًا منقطعًا عن الناس ذا عفة وصبر على اشغال الطلبة واحتمال جفاهم وطلاقة لسان ولم يعتن بالتصنيف مات في رمضان سنة تسع وخمسين وثمانمائة » .

معارضة موادّ الكتاب — ولقد عارضنا مواد الكتاب بغيره من الاصول كتاريخ ابن اياس وابن تغري بردي والضوء اللامع في اعيان القرن التاسع للسخاوي [١] والتبر المسبوك للسخاوي والشقائق النعمانية وتاريخ الاسحاقي والمقريزي وغير ذلك من المظان . كذلك قابلناها بموادمؤلفات اخرى للسيوطي كحسن المحاضرة وبغية الوعاة وتاريخ الخلفاء . ورجاؤنا ان ننشر الكتاب بالطبع في المستقبل القريب .

نيويرك : فيليب حتي

مباحث لغوية

كان فلكيو الكلدان يسمون المدة الطويلة المشتملة على ٢٢٣ هلالاً وعلى ١٩ دورة هلالية من دورات العقدة (الساهور) فنقلها اليونانيون الى لسانهم بصورة (ساروس Saros) فالحرفان الاخيران (وس) هما علامتا الاعراب يختمون بها الفاظهم ثم سقطت الهاء من الكلمة كما سقطت من الفاظ كثيرة في لسانهم . ولهذا نعيب على المعاصرين الذين سموا (الساهور) (الساروس) مع ان العرب نقلت اللفظة بعينها من الكلدانية منذ العهد القديم . قال في لسان العرب : الساهور والسهر نفس القمر والساهور : دارة القمر كلاهما سرياني اه . و يريد بالسرياني الآري او الكلداني وهذا يدلك على ان الشهر مثل الساهور اي ان الهاء سقطت من اليونانية (Sahar) فقيل Sar ثم Saros .

نعم ان الساهور لم ترد عند العرب بالمعنى المذكور للمدة ، لكن هذا مما يزاد على معانيها المختلفة الموجودة كذلك في اللغة الكلدانية .

(١) يوجد من هذا المؤلف نسخة مخطوطة في دمشق استنسخ لنا منها قسماً صغيراً الشيخ صادق فهمي المالح باشراف الاستاذ المغربي . ولقد اهتدينا موخراً الى نسخة ثانية مخطوطة في جامعة يابل .

قانعًا منقطعًا عن الناس ذا عفة وصبر على اشغال الطلبة واحتمال جفاهم وطلاقة لسان ولم يعتن بالتصنيف مات في رمضان سنة تسع وخمسين وثمانمائة » .

معارضة موادّ الكتاب — ولقد عارضنا مواد الكتاب بغيره من الاصول كتاريخ ابن اياس وابن تغري بردي والضوء اللامع في اعيان القرن التاسع للسخاوي (١) والتبر المسبوك للسخاوي والشقائق النعمانية وتاريخ الاسحاقي والمقريزي وغير ذلك من المظان . كذلك قابلناها بموادمؤلفات اخرى للسيوطي كحسن المحاضرة وبغية الوعاة وتاريخ الخلفاء . ورجاؤنا ان ننشر الكتاب بالطبع في المستقبل القريب .

نيويرك : فيليب حتي

مباحث لغوية

كان فلكيو الكلدان يسمون المدة الطويلة المشتملة على ٢٢٣ هلالاً وعلى ١٩ دورة هلالية من دورات العقدة (الساهور) فنقلها اليونانيون الى لسانهم بصورة (ساروس Saros) فالحرفان الاخيران (وس) هما علامتا الاعراب يختمون بها الفاظهم ثم سقطت الهاء من الكلمة كما سقطت من الفاظ كثيرة في لسانهم . ولهذا نعيب على المعاصرين الذين سموا (الساهور) (الساروس) مع ان العرب نقلت اللفظة بعينها من الكلدانية منذ العهد القديم . قال في لسان العرب : الساهور والسهر نفس القمر والساهور : دارة القمر كلاهما سرياني اه . ويريد بالسرياني الآري او الكلداني وهذا يدلك على ان الشهر مثل الساهور اي ان الهاء سقطت من اليونانية (Sahar) فقيل Sar ثم Saros .

نعم ان الساهور لم ترد عند العرب بالمعنى المذكور للمدة، لكن هذا مما يزاد على معانيها المختلفة الموجودة كذلك في اللغة الكلدانية .

---

(١) يوجد من هذا المؤلف نسخة مخطوطة في دمشق استنسخ لنا منها قسماً صغيراً الشيخ صادق فهمي المالح باشراف الاستاذ المغربي . ولقد اهتدينا موخراً الى نسخة ثانية مخطوطة في جامعة يايل .

الخِلْب : شيء رقيق ابيض لاصق بالكبد (اللغويون) وهو من اصطلاح الاطباء ويعرف بالفرنسية (Capsule de Glisson) ·

ويسمي الفرنج الحكومة التي يتساوى فيها الناس فتكون السلطة بيد الشعب (ديمقراطية — Démocratie) وللعرب لفظة تقوم بهذا المعنى أحسن قيام وهي الجَوْمية نسبة الى الجوم · فقد جاء في اللسان : الجوم : الرعاء يكون امرهم واحداً · الليث : الجوم : كأنها فارسية وهم الرعاة امرهم وكلامهم ومجلسهم واحد اه · قلت انا ليست الكلمة فارسية ، اذ لا وجود لهذه اللفظة في لغة الفرس ، بل هي عربية صرفة وأصلها القوم ، فأبدلوا القاف جيماً لاحداث معنى جديد على ما تقدمت اليه الاشارة ومثل هذا الابدال كثير في لغتنا الفصحى والعامية والمعربة فقد قالوا : اللماق واللماج ، قدّ وجدّ ، قضم وجضم ، رنق ورنج ، أحق وأحجّ · وتعريف العرب للجومية او للجوم احسن من تعريف الفرنج لها كما لا يخفى على كل من فكر في التعريفين المذكورين ·

واما الارستقراطية فقد سمتها العرب العَبْهَلية نسبة الى العَبْهَل والجمع عباهلة قال في التاج : العباهلة : الاقيال · وفي الصحاح : ملوك اليمن المقرّون على ملكهم فلم يزالوا عنه · قال ابو عبيد : وكذلك كل شيء اهملته فكان مهملاً لا يمنع مما يريد ولا يضرب على يديه ··· وفي تثقيف اللسان : العباهلة الذين لا يد عليهم لاحد اه· وهذا وصف من يسميهم الغربيون الارستقراطيين ·

الحَفْد : الاسراع في مرضاة الاقارب وترقيتهم وهو ما يعرف عند الفرنسيين بالنيبوتسم (Népotisme) وفي النهاية : وذكر له عثمان للخلافة فقال : اخشى حفده اي اسراعه في مرضاة اقاربه ·

ويأتي الحفد ايضاً بمعنى الاسراع في العمل وخدمة الله · وفي دعاء القنوت : واليك نسعى ونحفد اي نسرع في العمل والخدمة فيكون الحفد هنا بمعنى ما يسميه الفرنج (Liturgie,service divin) ·

واذا اقتطع الفرنج عبارات محكمة الوضع والمعنى من كلام دونها بلاغة اطلقوا عليها اسم (Phrases détachées) والعرب سموها (حصائد الالسنة) قال في

اللسان : حصائد الالسنة ما قالته الالسنة وهو ما يقتطعونه من الكلام الذي لا خير فيه واحدتها حصيدة ، تشبيهاً بما يحصد من الزرع اذا جُذّ وتشبيهاً للسان وما يقتطعه من القول بحد المنجل الذي يحصد به ·

وللبابا رومية حق باصدار الحكم بعدّ فلان او فلانة بين اولياء الله واصفيائه وهذا ما يسميه الفرنسيون (Canoniser) وفي العربية استصفاه · قال اللغويون : استصفى فلان فلاناً عدّه صفياً ·

ومن اصطلاحات الفرنسيين الحديثة اذا ما وقع خلل في السيارة او في الدراجة او في نحوهما فامتنع الراكب من السير عليها قولهم : (Être en panne) او (Rester en panne) وفي العربية انقطع به (بصيغة المفعول) فهو منقطع به اذا عجز عن سفره باي سبب كان ·

ومن اصطلاحات الحجاز عندنا قولنا التقريع : وهو تجريد الشخص لامر معين وهو بالفرنسية (Faire spécialiser q qn.) ·

ولم ار احداً وضع مقابلاً مساوياً للفظة (Bourgeois) وهي المقتدر في لغتنا في احد معانيها وتعرف طبقتهم عند العرب باللهازم اي (Bourgeoisie) ·

ولابناء الغرب فرع من الفنون العسكرية يرمي الى اتخاذ الوسائل لقيادة جيشٍ بازاء جيش العدو ليحسن محاربته وقد اصطلحوا عليه باسم (Stratégie) وسماه العرب الأَلْب بفتح فسكون · قال في القاموس : الالب التدبير على العدو من حيث لا يعلم وهو تعريف بديع على قصر عبارته ·

وقد قضت العادات العصرية ان يهيأ منزل للمرأة التي قربت ولادتها ليقام بشؤونها احسن قيام وسمي هذا المنزل (Maternité) ويصح ان يسمى بالعربية المثبر وزان مجلس فقد قال اللغويون عنه « الموضع تلد فيه المرأة » ·

ويسمون (Exogénie) التزوج في الاباعد وهو الاغتراب كما ان الإضواء هو التزوج في الاقارب (Endogénie) ·

والسراويل هي (Caleçon) والتُبّان (وزان رمان) هو (Culotte) والدِقرار او الدِقرارة هو البنطلون (Pantalon) ·

لم اجد احداً ذكر لكلمة (Initiative) لفظاً او الفاظاً مركبة تؤدي لنا في العربية معناها الفرنجي ، فهي عندنا (الاقدام او الابتداع) ·

والفرنج يفرقون بين معنى (Virago) و (Amazone) فالاولى تعني المرأة او البنت التي تشبه الرجال بقامتها او هيئتها او حركاتها وهي الزَّنْمَرْدة (كلمة فارسية عربت) او المترجلة او المتذكرة · والثانية هي كلمة يونانية الاصل معناها المرأة التي لا ثديين لها وهي اذا كانت كذلك كانت ذات شجاعة كشجاعة الرجال لا تخاف القراع والكفاح وهي في لغتنا (الضَّهْياء) ·

ويرسم الفرنج مختلف مهب الريح على صورة نجم ذي أشعة عديدة لا تتجاوز اثنين وثلاثين ويسمونها (وردة الرياح — Rose des vents) لما يتقوم من صورتها كالوردة وهي بالعربية : الصُوَّة ·

وفي الزهرة اربعة اقسام كبيرة وهي الغشاء الذي يحوي اعضاء الذكورة والانوثة اي القُعالة (بضم الاول) وهي (Corolle) وسماه بعضهم التويج ·

وغشاء الزهرة الظاهر و يتألف من الشروخ (جمع شرخ بفتح فسكون) فالغشاء المذكور هو (Calice) وعربه بعضهم بالكاس والشرخ هو (Sépale) وعربه بعضهم بسَبَلة وهو اللفظ الفرنجي نفسه · والشرفة (Pétale) هي كل ورقة من اوراق القعالة · (محقق)



رحلة الامير يشبك

في جملة المخطوطات النادرة التي استنسخت للخزانة التيمورية من دار الكتب المصرية رحلة الامير يشبك الشهير بيشبك بن مهدي الدوادار المتوفى مقتولاً بالرُّها في العشر الاخير من رمضان سنة ٨٨٥ وهي كما قال الاستاذ احمد تيمور باشا في التعليق عليها تتضمن سفر الامير يشبك الدوادار لمقاتلة شاه سوار الخارج على سلطان مصر وقد رافق مؤلفها الجيش وأُرسل سفيراً الى تبريز لحسن بك سلطان العراقين (اي حسن الطويل) وكان ممن طلع الى سوار لما حوصر بالقلعة للاتفاق معه على شروط التسليم والارجح ان مؤلفها القاضي شمس الدين محمد بن محمود بن خليل الحلبي المعروف بابن أجا ولد سنة ٨٢٠ بحلب وتوفي بها سنة ٨٨١ كما في ترجمته في الضوء اللامع وقد جاء بها انه صحب الدوادار الكبير يشبك بن مهدى وراج بسبب ذلك وسافر رسولاً منه ومن السلطان الى عدة ممالك كتبريز والروم وغيرهما وانه ترجم فتوح الشام للواقدي الى التركية نظماً وعمل سفرة سوار . وفي ترجمة الضوء اللامع ايضاً في ترجمة يشبك بن مهدي في كلامه على خروجه قائداً للعسكر لمقاتلة شاه سوار ما نصه : « وكان امراً مهولاً افرده امامه الشمس ابن اجا بالجمع فبالغ »

ليست هذه الرحلة بالكبيرة الحجم فانها في مائة وثلاثين صفحة بدأها مؤلفها بقوله بعد البسملة لقد نصركم الله في مواطن كثيرة الحمد لله نصر عباده المؤمنين وايدهم بكلمة التقوى وجعلهم نقمة للظالمين واحل سيوفهم برقاب الطغاة والخارجين ... ثم ذكر ما وقع للامير يشبك قائد الجيوش المصرية منذ خروجه من القاهرة في أُبهة عظيمة لم يخرج احد ممن تقدمه من الامراء مثله وذلك في شوال سنة خمس وسبعين وثمانمائة وفوض اليه امر المملكة الشامية من العريش الى الفرات ورسم له ان يولي من يشاء و يعزل من يشاء بجنحة وبغير جنحة و يعطي الاقطاعات من يختار و يرى نفعه للمهات الاسلامية ومن كان بضد ذلك يأخذ اقطاعه و يعطيه لمن هو اهل له من غير معارض له وكذلك كفلاء الممالك والنواب يستمر بمن يريد و يعزل من يريد . وكان سلطان مصر والشام اذ ذاك الملك الاشرف قايتباي .

وفي الرحلة فوائد لطيفة منها كون قبر ابي هريرة (رض) الذي بغزة غير صحيح لانه دفن بالمدينة ووصول الحملة الى دمشق وحماة وحلب واستقبال الاهلين لها استقبالاً جميلاً وان دخول يشبك الدوادار مدينة حلب فاق دخول الاشرف برسباي فيها سنة ٨٣٦ وكيف رمى عينتاب بالمكاحل وفتحها وكيف قابل كاتب الرحلة شاه سوار وما عرضه عليه من الطاعة ثم تجهيزه الى تبريز لمقابلة حسن الطويل ومناظرته لعلماء تبريز ووصف المراحل في ذهابه وايابه الى تبريز مرحلة مرحلة وقد ذهب من طريق وآب من آخر وهي مهمة في تصور رسم الاراضي في تلك الاصقاع . وهاك ماقاله القاضي السفير لما اجتمع بحسن الطويل في تبريز بنص عبارته : « دخلت عليه وعنده جماعة من اهل العلم والتجار الواردين عليه من سائر الاقاليم فلما قربت منه قام من مكانه واجلسني بجانبه فاول ما بدا ان يسألني عن مولانا السلطان الملك الاشرف قايتباي خلد الله ملكه ثم عن المقر الاشرف الامير يشبك الدوادار ونظام الملك و باش العساكر الاسلامية اعز الله انصاره فقلت بخير و يسلمان على البادشاه » فاثنى بكل خير وقال : انا والله احبهما ولا اعلم الامملكتي ومملكتهما واحدة وهذه عساكري حاضرة مهما اخترت منهم خذ وقد سألت السلطان بذلك مراراً فلم يرد علي جواباً وما علمت المراد فقلت لسعادة مولانا البادشاه الامر ما يحتاج الى هذا وسوار اقل واخس من ان يجتمع عليه عسكر مولانا السلطان خلد الله ملكه وعسكر البادشاه وهذا من بعض تركمان المملكة الحلبية وما سبق من الامور فسببه ظاهر لايحتاج الى التفصيل لان مجلس البادشاه لايحمل قط ذلك ومولانا يعلم حقيقة الحال والا من قديم الزمان والى الآن لم يزل كافل المملكة الحلبية بمفرده يركب على الدلغار و يشتت شملهم و يخرجهم من البلاد والآن بسعادة البادشاه قد اخذت عينتاب في سبعة ايام وحصلت الملاقاة مع بعض عسكره بنفر قليل من المماليك فانكسروا وقتل باشهم (رأسهم) واخذ سنجقه (علمه) وقتل من اعيانهم نحو من اربعين نفراً ولولا انهم التجأوا الى الجبل ما نجا منهم احد وكل امور عساكر الاسلام على اتم نظام كل ذلك بحسن تدبير الامير نظام الملك الشريف . والرخاء متزايد بالعساكر الاسلامية وقد تضعضع الغريم وولى من مكانه هارباً ثم سألني عن امير العساكر الاسلامية وما هم فيه فاخبرته بكثرتهم وقوتهم واتفاقهم

وانقيادهم لنظام الملك اعز الله انصاره وان كلاً من الكفلاء والامراء يطلب رضاه واخبرته بما هم فيه من الاهتمام وكثرة آلات الحصار والزردخانات والصناع والى غير ذلك فظهر لي من وجهه الكراهة لما سمع قوة العساكر المنصورة ...».

ومعلوم ان شاه سوار (او شهسوار) كما يرسمها الترك هو الثامن من امراء ذي القدرية التركمانية الذين كانوا في مرعش واصقاعها يلجأون تارة الى سلاطين العثمانيين وطوراً الى ملوك مصر والشام من الجراكسة وكان شاه سوار اعتصم بابن عثمان فاغتنم ملك الجراكسة اشتغال هذا في حرب له وارسل الامير يشبك في هذه التجريدة وفتح عينتاب وما اليها واخذ الامير سوار اسيراً وصلب في باب زويلة في مصر.

وقد وصف صاحب الرحلة القتال بين عسكر مصر وعسكر شاه سوار (ص٨٦) والخذال هؤلاء وعودة الامير يشبك الى حلب وما بدا من رفقه بالرعية وانه كان يضرب بيد من حديد « المماليك السلطانية الذين جرت العادة على انهم يفعلون الامور المشهورة عنهم من اخذ اموال الناس وهتك حريمها ».

ثم اورد رحيل الامير يشبك من حلب بالجيش لمعاودة القتال وفتحه البلاد وتصنيفه شيئاً من الخشب يدخل فيه الرجال و يدفع الى سور القلعة و يلصق به ليتمكن من فيه من النقب. وذكر صورة نزول سوار من قلعة زمنطو وتسليمه نفسه ومقابلة كاتب الرحلة له والقبض على سوار بعد اكرامه والباسه خلعة ورجوع الامير يشبك بالجيش ومعه سوار ودخوله القاهرة ووصف الموكب الذي عمل له وكان فيه سوار واخوته وامراؤه وشنكلة سوار بباب زويلة وموته من يومه.

محمد كرد علي



خزائن الكتب العربية

« من نفائس خزانة الاب بولس سباط الحلبي »

جمع حضرته اكثر من الف مخطوط عربي وسرياني منها نحو سبعمائة مجلد خطت بين القرنين الحادي عشر والسابع عشر للميلاد والباقي في القرنين الاخيرين ومنها قطع من الانجيل كتبت بالسريانية على الرق يرجع عهد نسخها الى القرن الثاني للميلاد ·

وقد وضع صاحب هذه الخزانة برنامجاً مطولاً في وصف مخطوطات خزانته ، تطبعه الآن مجلة اصداء الشرق الافرنسية فاقتطف لنا من ذلك مقالة مطولة اختصرناها بهذه العجالة ·

(ثلاث مقالات فلسفية) لابي الفرج ابن العبري في علم النفس والحكمة نسخت سنة ١٧٧٣ م ·

(قسطاس الافكار في تحقيق الاسرار) في المنطق فرغ منه مؤلفه المجهول سنة ٦٨٧ ﻫ (١٢٨٨ م) ونسخ سنة ٧١٤ ﻫ في اذربيجان ·

(مصباح النور ودفع الهم وجلب السرور) على اسلوب دفع الهم لايليا إسقف نصيبين مجهول المؤلف ·

(المقدمة الكافية في اصول الجبر والمقابلة) لابي الحسن علي السلمي نسخت سنة ٦٠٨ ﻫ (١٢١١م) ·

(الكافي في الحساب) لابي بكر محمد بن حسن الكرجي الحاسب من علماء القرن الرابع للهجرة نسخ ٦٠٨ ﻫ

(المعونة في الحساب) لابن الهائم نسخت في القرن الحادي عشر للهجرة ·

(بغية الطلاب من علم الحساب) لتقي الدين بن معروف من اهل القرن العاشر للهجرة ·

(سدرة منتهى الافكار في ملكوت الفلك الدوار) لابن معروف هذا ايضاً ·

(الدر الغريب في العمل بدائرة التجويب) ألف في عهد السلطان بايزيد المتوفى سنة ٩١٨ ﻫ ·

(رسالة في البحث الهندسي) لمحمد المدعو بحكيم زلق الحلبي نسخت سنة ٩٨٠هـ .

(الازمنة) ليوحنا بن ماسويه الطبيب المسيحي المتوفى سنة ٢٤٣ هـ (٨٥٧م) .

(استخراج التقويم) لمحمود بن الادفي .

(رسالة الاعلام بشدّ المنكام) لشمس الدين محمد الصوفي من اهل القرن العاشر للهجرة .

(الرسالة الحكمية في اسرار الروحانية) لابي يوسف يعقوب بن اسحق الكندي الفيلسوف المتوفى سنة ٢٤٦ هـ (٨٦٠م) .

(رسالة في استحضار الارواح) له ايضاً من مجموعة فيها (الاحجار والخرز) لبطليموس . و (مدخل في علم الفلك) و (الثمرة) لبطليموس ترجمة احمد الطولوني من اهل المائة الثالثة للهجرة و (الحكم على قرانات بطليموس في المثلثات) للخزاعي . و (الطلسم وتمورات الكواكب المائلة والمقابلة) لجابر بن حيان المتوفى سنة ١٦٠ هـ (٧٧٦م) . و (سرور المستجلي لجزء وجوده الكلي) لابي عبد الله الرازي الشهير بابن خطيب الري المتوفى سنة ٦٠٦ هـ (١٢٠٩ م) . و (الخاصة في الطلسمات واسرار النجوم) وجد في دير نينوى موروثاً عن نسيب الراهب وكلها منقولة عن نسخها الاصلية في القرن الثالث عشر للميلاد .

(قصص الحواريين) يبتدئ بتبشير بطرس في رومية و ينتهي باستشهاد برثلماوس نسخ في القرن الخامس عشر للميلاد في ٤٧٥ص .

(كتاب تاريخي) يتضمن من استيلاء الفرنج على انطاكية سنة ١٠٩٨ م الى احتلال مالطة سنة ١٣١٣ م نسخ في القرن السابع عشر في ٣٢ ص .

(قوام الحساب بما في حوادث اخبار الزمان) لعبد القادر القطان الحلبي في تاريخ حلب الشهباء نسخه سنة ١٣٠٠ هـ (١٨٨٢م) في ٢٧٨ ص .

(تاريخ السامريين) لابي الفتح بن ابي الحسن السامري الدنفي من اول العالم الى سنة ٧٥٣ هـ (١٣٥٢م) في ١٧٨ص .

(تاريخ آخر للسامريين) لمؤلف سامري مجهول يبتدئ من زمن موسى النبي وينتهي سنة ١٣٠٧ هـ (١٨٨٩م) صفحاته ٥١٩ .

(رحلة) لرجل ماروني حلبي رافق بول لوكا السائح الفرنسي الى طرابلس الشام ومصر ومراكش واوربة سنة ١٧٠٧ م كتبها صاحب الرحلة نفسه سنة ١٧٦٤ م في ٣٤٧ ص ٠

(الشجر والنبات) صنفه في السريانية الرباني داود بن بولس اليعقوبي في القرن الثالث عشر للميلاد ونسخ في ذلك الوقت ٠

(المسيحي في صناعة الطب) الجزء الرابع يشتمل على ثمانية وثلاثين كتاباً وهو القسم الاخير من مئة كتاب لابي سهل عيسى بن يحيى المسيحي المتوفى سنة ٣٩١ه (١٠٠٠م) نسخ في القرن الحادي عشر للميلاد بخط جميل في ٣٦٨ ٠

(مقالة في الفصد) لامين الدولة هبة الله بن صاعد المشهور بابن التلميذ الذي كان قساً في بغداد وتوفي سنة ٥٦٠ه (١١٦٤م) نسخت سنة ٩٤٠ه (١٥٣٨م) في ٤٠ص ٠

(تذكرة الكحالين) لعيسى بن علي من علماء القرن الحادي عشر للميلاد يرجع نسخها الى عهد مؤلفها في ٣٧٨ ص ٠

(المفردات) تأليف الشيخ الرئيس ابن سينا قديمة جميلة الخط نسخت بزمن المؤلف وعليها حواشي وجدت معلقة بخطه على النسخة التي نقل عنها الكتاب في ٥١٦ ص ٠

(دفع المضار الكلية للابدان الانسانية) لابن سينا في ٤٠ ص يليها (الاسباب والعلامات) لنجيب الدين السمرقندي المتوفى ٦١٩ ه (١٢٢٢م) في ٢٦٠ ص نسخت في القرن الثالث عشر للميلاد بخط جميل ٠

(تذكرة في العلاج) ملخصة من كتب كثيرة رتبت في ١٩٣ باباً تشتمل على فوائد كثيرة من مجربات الاطباء في ٣٩٨ ص نسخت في القرن السابع عشر للميلاد ٠

(كشف الرين في احوال العين) في الكحالة تأليف شمس الدين محمد بن برهان الدين ابراهيم بن ساعد الانصاري الشهير بابن الاكفاني من اهل القرن الثامن للهجرة في ٩٨ ص نسخت سنة ٩٢٠ ه (١٥١٤م) ٠

(وقاية العين بشرح تجريد كشف الرين) وتجريد كشف الرين للشيخ بدر الدين علي المناوي من اهل القرن التاسع للهجرة ٠ واما الشارح فغير معروف نسخ في القرن السابع عشر للميلاد في ٣٩٥ ص بخط جميل ٠

(تقويم الابدان في تدبير الانسان) ليحيى بن عيسى بن علي بن جزلة المتوفى سنة ٤٩٤ هـ (١١٠٠م) في ٩٥ ص ومعه (رسالة في البلغم) ليحيى بن ماسويه في ٥ ص وكلاهما نسخا بخط متقن في القرن الثاني عشر للميلاد .

(منهاج البيان في ما يستعمله الانسان) لابن جزلة الآنف الذكر في ٥٣٥ ص نسخت سنة ١٠٠٣ هـ (١٥٩٤م) .

(الرسالة الكافية وتعرف بالهارونية) صنفها عيسى بن حكم الدمشقي الملقب بمسيح من اطباء القرن التاسع للميلاد وقدمها الى هرون الرشيد فنسبت اليه في ١١٨ ص بخط حديث .

(الحميات) لمحمد بن زكريا الرازي المتوفى سنة ٣١١ هـ (٩٢٣م) نسخت ١١٠٥ هـ (١٦٩٣م) في ١١٨ ص .

(الاقراباذين) لحاجي باشا من اهل المائة الثامنة للهجرة نسخ في القرن الخامس عشر للميلاد في ١٤٤ ص .

(علم الابدان الجامع المرشد عن الاذهان) لنفيس بن عوض بن حكيم الطبيب من اهل القرن الخامس عشر للميلاد نسخ في زمنه في ٥٠٦ ص .

(غاية البيان في تدبير الانسان) لصالح بن نصر الله الحلبي الذي كان في خدمة السلطان محمد بن ابراهيم سنة ١٠٥٨ هـ (١٦٤٨م) في ٢١٨ ص بخط حديث .

(تقدمة المعرفة لابقراط) شرحه مهذب الدين بن علي الطبيب من اهل القرن الحادي عشر للهجرة نسخ سنة ١١٠١ هـ (١٦٨٩م) في ١٢٠ ص .

(ريحانة اللب في مجموعة الطب) وهي مجموعة للعلاجات لطاهر بن ابراهيم بن عمر ابن طاهر السجندي في ١٧٧ ص كتبت في القرن السابع عشر للميلاد .

(المقامات الحريرية) تليها (الرسالتان السينية والشينية) للشيخ ابي القاسم الحريري المشهور في ٣٧١ ص نسخت سنة ٥٨٣ هـ (١١٨٧م) متقنة الخط والترتيب والشروح وفي آخرها سماع العلماء في قراءتها . وفي هذه الخزانة نسخة ثانية من المقامات والرسالتين متقنة كتبت سنة ٦٣٤ هـ (١٢٣٦م) في ٢٣٩ ص .

(بلوغ الأمل في فن الزجل) في ٦٥ ص تليه رسالة في فن الزجل في ١٥ ص . والاولى مشهورة انها لابن حجة الحموي . ولكن صاحب الخزانة يقول : ان الرسالتين من تأليف الشيخ عبد الوهاب بن الشيخ جمال الدين يوسف البنواني نسختا في القرن السابع عشر للميلاد .

(رياض الازهار ونسيم الاسحار) للقواس من اهل المائة العاشرة للهجرة وهي ثماني مقامات نسخت سنة ١٠٣٦ ﻫ (١٦٢٦م) في ٢٤٤ ص .

(ديوان الشماس نعمه بن الخوري توما الملكي الحلبي) من اهل القرن الثامن عشر للميلاد نسخ بزمن ناظمه في ٦١ ص .

(الموشح) في النحو لمحمد بن ابي بكر بن محمد الخبيصي بخراش كثيرة نسخ بخط جميل في زمن المؤلف سنة ٨٠١ ﻫ (١٣٩٨م) في ٦٠٢ ص .

هذه اهم مخطوطات الخزانة (السباطية) وفيها كثير من كتب الجدل والمذاهب الشرقية لمؤلفين مختلفين عدا غيرها مما ذكرناه في مقالاتنا السابقة في (الخزائن) وكان اهم من هذا اه .

عيسى اسكندر المعلوف



عثرات الاقلام

– ٣٧ –

ومنها قولهم (قرضه نسخة من كتابه فطالعها ثم اعادها اليه) العثار في هذه الجملة من جهة اللفظ والمعنى . اما اللفظ فلأنه لا يقال (قرضه) ثلاثياً انما يقال (أقرضه) رباعياً واما المعنى فلأن القرض لا يستعمل فيما يعطى من الاشياء ليرد بعينه وانما يستعمل فيما يعطى فيستهلك ثم يرد بمثله فالقرض على عكس الاستعارة لان العارية تعطى لترد بعينها .

ومنها قولهم (فلان يطبق اعماله على مفاصل القانون) صوابه تطابق اعماله القانون اي يجعلها طبقاً لمضامينه غير خارجة عنها اما (مفصل او مفاصل) فلها استعمال آخر غير هذا الاستعمال فيقال مثلاً في مثل هذا المقام (فلان يطبق المفصل في احكام القانون) و يراد اذ ذاك انه اذا حكم بالقانون اصاب في حكمه ولم يخطئ . واصل هذا قولهم (طبق السيف او السكين المفصل) اذا اصاب موضع الجزء من المفصل فلم يخطئ . ثم استعمل مجازاً في الاصابة مطلقاً فيقال فلان طبق المفصل في رأيه او عمله او سعيه اذا اصاب في ذلك كله . ومثله قولهم (فلان اصاب المحز) على المعنيين الحقيقي والمجازي .

ومنها قولهم (لفلان ضلع في مقتل فلان) وهو خطأ وصوابه لفلان يد في مقتل فلان او له اصبع اوله مدخل اما (ضلع) فتستعمل في ان يكون للشخص هوىً وميل مع شخص آخر فيقال ضلعك معه اي ميلك وهواك .

ومنها قولهم (اشترى المثريون الاسهم كلها) صوابه المثرون بحذف الياء المشددة لان واحده مثري بياء خفيفة في آخره وهي ياء الفعل الناقص فتحذف في الجمع فيقال مُثرون ومثرين كمعطون ومعطين وليست ياء نسبة مشددة حتى تثبت كما ثبتت في (ماليّون) و (ماليين) .

ومنها قولهم (طعنه بالرمح فوقع على الارض يخور بدمه) خار الثور صاح فلا معنى لقولهم يخور بدمه . وانما يقال (وقع يتشحط بدمه . او يتخبط بدمه او يقذف او يمجّ جرحه دماً) او ما حاكى ذلك .

ومنها قولهم (كثيرون هم الذين يغشون الوطن) و (وفقيرهو الذي يجمع المال ولا ينتفع به) (وشريرة هي المرأة التي لاتطيع زوجها) الى امثال ذلك من التراكيب ولا نراها فصيحة وانما هو تعبير غريب عن لغتنا دخيل فيها . فالفصيح ان يقال (الذين يغشون الوطن هم كثيرون) و (الذي يجمع المال ولا ينتفع به هو فقير) و (المرأة التي لاتطيع زوجها هي شريرة).

ومنها قولهم (فاسرعت الجنود وثاغرت على الحدود) ارادوا بثاغرت أقامت في الثغر خشية هجوم العدو وتسمى الاقامة في الثغر بقصد الدفاع مرابطة ورباطاً .

ومنها قولهم (بيتوا البقرات في مذود مظلم) صوابه في زريبة او حظيرة وهما مأوى الماشية أما مذودها فهو المعلف اي حيث يوضع علفها لتأكل .

ومنها قولهم (ضربوا كشحاً عن هذا الامر) صوابه ضربوا صفحاً عنه اي اعرضوا عنه (إعراضاً) فصفحاً مفعول مطلق . اما كلمة (كشح) فتستعمل مع فعل (طوى) فيقال (طوى كشحه عن فلان) اذا اعرض عنه (والكشح) ما بين الخاصرة الى الضلع فيكون قولهم (طوى كشحه عنه) بمعنى مال بجانبه عنه . ونأى بجانبه عنه . واذا عدي (طي الكشح) بعلى كان معناه الاضمار والكتمان فيقال (طوى كشحه عليه) اي اضمره واستسره في نفسه

ومنها قولهم (اليك شي) اي دونكها وخذها والصواب انه يقال (اليكها) بضمير النصب لاالرفع لان الضمير واقع موقع المفعول به لكلمة (اليك)وهي اسم فعل بمعنى خذ.

ومنها قولهم (فروا من الحريق حاملين اغراضهم الخاصة)صوابه امتعتهم اواشياءهم وقد ذكر علماء اللغة من معاني (الغرض) الحاجة والبغية . وظاهر انهم ارادوا به . الامر الذي يطلب قضاؤه فيقال (اتيتك لغرض ٍ) اي لحاجة ابغي قضاءها ولم يريدوا بالحاجة المتاع والماعون .

خلاصة اعمال المجمع

« في هذه الاشهر الاخيرة »

تذاكر اعضاء المجمع بشأن ترتيب دروس تلقى في ردهة المحاضرات على الطلاب وان يكون لها برنامج خاص وقرئت عدة رسائل واردة من الجهات يطلب مرسلوها كتباً من المجمع ليقرأها المترددون على تلك النوادي فقرر الاعضاء ان يقتصر في الهدايا للنوادي على اهداء مجلة المجمع وعدم اهداء شيءٍ من الكتب المحفوظة في خزانة المجمع لان هذه الكتب بعد تقييدها في دفتر المكتبة اصبحت وقفاً لا يجوز التصرف فيها بحال ٠ وتلا الاستاذ (المغربي) على الاعضاء عدة مقالات تتضمن (عثرات الاقلام) فاستحسنوها وقد نشرت في الصحف المحلية وستنشر تباعاً في مجلة (المجمع) وعرضت على الاعضاء الهدايا التي كانت تهدى الى المجمع ٠

وفي جلسة يوم ١٠ حزيران سنة (١٩٢٥) اقترح الرئيس توقيف الجلسة خمسة دقائق حداداً على احد اعضاء المجمع العلامة اوجنيو غريفيني الايطالي مدير مكتبة الديوان العالي في القاهرة ومن اساتذة جامعة ميلانو في شمالي ايطاليا ٠

وفي هذه الجلسة قرئت رسالة المجمع العلمي الروسي في لينيغراد المتضمنة دعوة المجمع العربي لحضور الحفلة التي تقام في اول شهر ايلول ١٩٢٥ تذكاراً لمرور خمسين عاماً على تأسيسه فتقرر اجابة امين سر المجمع الروسي العام الى ذلك مع بيان الشكر لدعوة مجمع لينيغراد لمجمع دمشق وانابة الاستاذ كراتشقوفسكي لتمثيل المجمع في هذه الحفلة ٠

وقد انتخب في خلال هذه المدة عضوان جديدان احدهما في مصر وهو الدكتور احمد عيسى بك والآخر من دمشق وهو السيد خليل مردم بك وقد احتفل بقبول كل منهما على حدة وقدم كل منهما للمجمع رسالةً من تأليفه تليت في الجلسة لتكون بمثابة أطروحة تدل على علمه وفضله واهليته لعضوية المجمع وقد كان موضوع رسالة الدكتور احمد عيسى بك (آلات الطب والجراحة عند العرب) كما ان موضوع رسالة خليل بك (شعراء الشام في القرن الثالث للهجرة) والرسالتان قدمتا في الجلستين مطبوعتين

طبعاً حسناً وقد كتب على ظهر كل من الرسالتين (انها قدمت الى المجمع العلمي بدمشق لمناسبة انتخاب مؤلفها عضواً فيه) وقدوزعت الرسالتان على الاعضاء وغيرهم ومما يحسن ذكره ان احد الاعضاء الاستاذ السيد مسعود الكواكبي هنأ السيد خليل مردم بك في جلسة قبوله عضواً بهذه القطعة الشعرية المرتجلة :

قد عشقنا العلم لسنا نبتغي عنه بديلا
ونرى الشركة فيه لا كمن يهوى الجميلا
غير انا لاندانى كل من كان دخيلا
ليس يسطيع الينا مدعي العلم سبيلا
فلذا لما رأينا ك مثيلا وعديلا
ووجدنا لك باعاً في مدى الفضل طويلا
قد ضممناك الينا واتخذناك خليلا

وتذاكر الاعضاء في هل يحسن ان يتعطل المجمع وفرعه في حلب خلال اشهر الصيف اسوة بمعاهد الجامعة السورية فتقرر العطلة للاعضاء سوى من كان منهم في حاجة الى الراحة وتبديل الهواء فيعطى رخصة موقتة ٠

وتذاكر المجمع في مضمون رسالة واردة من احد اعضائه في باريز وهو (السيد ماسينيون) وقد اقترح فيها على احد اعضاء المجمع السيد الياس قدسي وضع مصنف خاص في (الحرف والصنائع) ٠ ورسالة أُخرى من السيد منير البرازي من اعيان حماة يعد المجمع بارسال تمثال حجري قديم ليحفظ في دار الآثار هدية باسمه ٠

وكان المجمع قرر باتفاق الآراء ان لا يزيد اعضاؤه على مئة عضو واذ كان اخترم من اعضائه اثنان واحتاج الى عضوين جديدين بدلهما وكان المرشحون للعضوية كثيرين انتخب من المرشحين اثنان وهما السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار والدكتور امين المعلوف مؤلف كتاب معجم الحيوان والنبات وكتب اليهما بأمر انتخابهما وان يقدما الى المجمع رسالة من تصنيفهما حسب السنة التي سنها في ذلك كما تقدمت الاشارة اليه ٠

واقترح بعض الاعضاء في الجلسة الاخيرة على المجمع ان يكتب الى مجمع باريز اللغوي

(الاكاديمي) بطلب قوانينه وانظمته الداخلية والادارية لكي يختار مجمعنا العربي من تلك القوانين ما يناسبه من اساليب الادارة والاعمال وقد عهد تنفيذ امر هذا الاقتراح الى احد الاعضاء الاستاذ (ميلانجو) مدير مدرسة الترجمة في دمشق فهو يكتب الى رئاسة مجمع باريز بطلب ذلك . وقد كان من اكبر ما فجع به المجمع وفاة عضو كبير من اعضائه بل ركن شديد من اركانه الا وهو المرحوم (رفيق بك العظم) المشهور بفضله وعلمه ووطنيته وصاحب تاريخ (اشهر مشاهير الاسلام) وقد كثر الاسف على وفاته وفجيعة الامة العربية به وقد قرر ان تقام له حفلة تأبين يوم الاربعين من وفاته الواقع في عشرين المحرم ١٣٤٤ القادم واخذ يعد المعدات ويبين المتكلمين في تلك الحفلة التي ستكون فخمة المظهر مناسبة لمقام الراحل الكريم لما له من المكانة والمنزلة العظمى في امته العربية .

ومما يذكر من حمية الفقيد العظيم ومبلغ اهتمامه بخدمة امته العربية حياً وميتاً انه حبس كتبه التي لا تقل عن الف كتاب نفيس في مختلف العلوم والفنون وقفاً على المجمع العلمي العربي بوطنه دمشق وان تضاف تلك الكتب الى مكتبة المجمع وبذلك يكون فقيدنا العزيز اسدى منة عظمى للمجمع العلمي بل لوطنه العربي وسن سنة حسنة لمن اراد ان يخدم وطنه فرحمه الله رحمة واسعة .



آراء وافكار

أقام يوم ٧ تموز ١٩٢٥ في بهو المجمع العلمي العربي لفيف من تجار دمشق حفلة تكريمية للعالم المالي المصري محمد طلعت بك حرب افتتح الكلام فيها رئيس المجمع وذكر حياة المحتفل به العلمية والاجتماعية ثم تقدم السيد لطفي الحفار نائب رئيس غرفة التجارة بخطاب انيق بين فيه ما عاناه المحتفل به في انشاء المصرف المصري الوطني وما تم على يده من الخيرات المالية لمصر وتكلم بعد ذلك حضرة المحتفل به الكريم بخطاب مسهب اكتفينا منه بما ذكره في فوائد المجمع العلمي العام وآثار المجامع في تنشيط الآداب العربية قال :

قالوا — من حيث يجهلون او يتجاهلون منزلة لغتنا — ان اللغة العربية لا تصلح للتعليم في مدارسنا · لانها تقصر عن استيعاب العلوم العصرية · فصبرنا على مضض نرى التعليم يجري بلغة غير لغة البلاد حتى عاد الينا بعض الامر من شؤوننا · فجعلنا التعليم بالعربية أساساً في الدراسة الابتدائية والمتوسطة والعالية · ولو ان العلوم كلها لا تدرس الآن في المدارس العالية باللغة العربية لصعوبات وقتية لاتلبث ان تزول ·

وفي اثناء هذا النضال كانت اللغة العربية قد لانت في مجاري التشريع المصري المأخوذ عن التشريع الفرنسي · وانقادت بسهولة في لغة المحاكم وأوراق دعاويها ومختلف اجراآتها وفصاحة خطب رجالها في الاتهام والدفاع · أصبحت اللغة العربية عصرية مرنة قابلة لخوض المعلومات العصرية بسهولة تامة سواء أكانت هذه المعلومات أدبية ام سياسية · سواء أكان التعبير بها بواسطة الصحف السيارة والمجلات المختارة ام بواسطة النشرات والمؤلفات ·

ثم نهضت البلاد لتأسيس (بنك مصر) الذي هو اول بنك قومي مصري تأسس باموال مصرية بحتة · وبادارة مصرية محضة · وقررنا ان تكون المراسلات فيه وبينه وبين عملائه باللغة العربية · وان تكون حساباته باللغة العربية · فهزأ بنا الهازئون وقالوا « ان المحاسبة من واردات · وانها فن من فنونه غير قابل للانتقال الى الشرق بغير لغة من لغات الغرب » ولكننا أهملنا استهزاؤهم وأجرينا مراسلاتنا وكتبنا

نقاربرنا باللغة العربية. واني اؤكد لحضراتكم — ولي صلة متينة ببنك مصر وبادارته منذ اليوم الاول من انشائه — اننا ما وجدنا صعوبة في تعريب معنى من معاني هذا الفن او في تعريب اصطلاح من اصطلاحاته. وكان مما ساعدنا على سهولة التطبيق في العمل ان كانت قد انشئت قبيل الحرب مدرستان للتجارة تكونت فيهما طائفة من الشبان تلقوا العلم فيها باللغة العربية فسهل قيادهم في حياة البنك العملية.

ويخيل اليّ انه لو وفقت أُمة شرقية أُخرى الى انشاء بنك قومي صميم في بلادها مثل (بنك مصر) وجعلت اللغة العربية مثله أساساً في معاملاته. لوجد بيننا نحن المصريين وبين رجال هذه الامة شيء من الاختلاف في تعريب المصطلحات الحديثة. وهذا هو ما نشاهد في بقية الفنون التي تكد فيها عقول الناطقين بالضاد في مختلف البلاد. حتى اني قرأت صدفة في احد أعداد مجلة المعهد الطبي العربي بدمشق مثال خلاف علمي لغوي من هذا القبيل بين استاذ علم التشريح بمدرسة الطب الملكية بالقاهرة. وأستاذ علم التشريح بكلية دمشق. وكان موضوع الخلاف واقعاً على اختيار الاصطلاحات الطبية باللغة العربية مع ان كثيراً مما وقع عليه الخلاف قد يكون ميسور التحقيق في كتب حكماء العرب وأطبائهم.

وسيبقى مثل هذا الخلاف قائماً، أيها السادة بين أبناء اللغة العربية ماداموا محرومين من هيئة علمية عامة تمثل فيها الاوساط العلمية، والجامعات العربية، ويشترك فيها علماء اللغة الممتازون من اي جهة كانوا. بهذه الواسطة، وبهذه الواسطة وحدها، بانشاء مجمع علمي عام يضم اكفاء الرجال لتنشيط اللغة العربية وتوحيد مصطلحاتها العلمية. بهذا المجمع وحده ينقى كل خلاف ويسهل التقارب في التفاهم والاستفادة من كد الافهام في مختلف البلدان.

نعم ان المجمع العلمي العربي في دمشق قد خطا خطوة خليقة بالثناء في هذا الباب. غير ان هذه الخطوة يجب ان تعقبها خطوة أُخرى — نرجو ان تأتي في هذه الدفعة من جانب مصر — وهي تأسيس معهد علمي عام للغة العربية ينضم اليه كل ذي فضل في اصول اللغة ومندوبين اخصائيين في مختلف الفنون والعلوم قادرين على إلباسها في ثوب من العربية قشيب.

والواقع أيها السادة هو ان بين البلاد المتكلمة باللغة العربية — مهما ابتعدت مواضعها الجغرافية بعضها عن بعض — ثقافةً واحدة مشتركة المظاهر في كثير من مميزاتها وصفاتها وواجب هذه الامم واجب أفرادها وجماعاتها هو ان يعملوا دائماً على تقريب دواعي هذه الثقافة وجعل اللغة الفصحى واسطة نقلها من قطر الى آخر وان يعملوا دائماً على توحيد اتجاهاتها بمجمع علمي عام مشترك بين الشعوب العربية كما قدمنا ، مجمع يختار المصطلحات ويسجلها للأخذ بها في دور التعليم وصحف التأليف بل وعليهم ان يعملوا على توحيد أساليب التعليم في بلادهم المختلفة وفي اصوله العامة التي لا تنافي جعله مطابقاً لحاجات كل شعب من الشعوب في كل وقت من الزمان .

أيها السادة : ان هذه الروابط التي تربطنا بكم لهي روابط سامية في ذاتها بريئة في مقاصدها بحيث لا يعوقنا عائق عن النداء بها جهراً والعمل لها صراحة في ضوء النهار وفي كل بلدة من البلدان الناطقة بالضاد والفضل كل الفضل للسابق في العمل ولقد قام اهل الفضل في هذه المدينة بنصيبهم منه دعاني ان أقصر حديثي عليه .

ولعلنا نحن المصريين نستمر على اداء واجبنا في خدمة الثقافة العربية المشتركة ولعل جهود البلاد الاخرى تنظم لتنضم الى جهودنا المتجاورة فيتكون منها مجموع معلومات ومبادئ عرفان يتغذى بها عقل الشرق فتعيد اليه ضياءه وتجعل له نصيباً وافراً في تقدم المعلومات البشرية والاخذ بها الى الامام لمصلحة الانسانية والاخاء والتضامن الاجتماعي العام .

تأثير المجمع العلمي العربي

« في اوربا »

كثيراً ما يخجل ابناء العرب الذين لم يُتح لهم ان يشبّوا في تربية عربية بحتة بالانتماء الى أسلافهم الذين برّزوا في كل علم زاولوه ، وفن مارسوه ، جهلاً منهم بتاريخ هؤلاء الأسلاف المجيد . الاّ انهم لا يلبثون ان يخجلوا اذا هم خالطوا العلماء المستشرقين في اوربا واميركا وسمعوا منهم الثناء البليغ على جيل العرب ورأوا منهم

الإعجاب بمآثره الغراء ، والتصريح بان مدنيتــه كانت الاساس لمدنيتهم وعمرانهم ، ولا سيما اذا سمعوهم يذكرون لهم ما يجهلونه من حوادث تاريخه المجيد ، وأخبار حكمائه وعلمائه وأدبائه وسياسيّه المحنكين ، وقواده المدربين ، و يعترفون أمامهم بانهم سعداء بمعرفتهم لغته ومغتبطون بصرفهم الجانب الاكبر من أوقاتهم في الاهتمام بها . فينجع اذ ذاك هذا التقريع اللطيف في هذه النفوس الذاهلة ، وتدبُّ في ضمائرها الفاترة حرارة المحبة الوطنية فتنشط للسعي في إنجاح ابناء جيلها ، وإعزاز مكانة لغتها .

لقد قضيت عشر سنين في بلاد الروسية ممتعاً باحترام من تعرفت اليهم هنـالك من العلماء خصوصاً المستشرقين منهم وخالطت غير الروسيين من الاجيال كالفنلنديين والاسطونيين والبولونيين والالمان والنمساويين وتحققت ان احترامهم للعرب عامٌّ حتى في عامتهم وأنهم لا يصمونهم بخلة مستنكرة كالرياء والبخل والخوف والمؤالسة والدهاء مما يصمون به غيرهم من الاجيال بل يقرنونـ لهم بالأدب والكرم والوفاء ، والمروءة والأمانة والشجاعة وصدق الولاء .

وما أشد ما كان فرحهم لما ان سمعوا بانشاء « المجمع العلمي العربي » في عاصمة الأمويين وبدأوا يقرأون المقالات العلمية المفيدة في مجلته فكأني بهم قد اتخذوه حجة على مواطنيهم المغفلين تثبت حسن اعتقادهم بجيل العرب واطمأنوا الى ان هـذا المجمع سيعيد الى اللغة العربية مجدها و يحفظها من الشوائب التي سرت اليها ، أخص بالذكر منها اولئك الذين سألهم « المجمع العلمي العربي » مناصرته وقبولهم الانتظام في سلك أعضائه وهذا كتاب صديقي السيد « يوحنا اهنين كرسكو » اليّ مصداقاً لهذه الحقيقة .

صديقي العزيز :

بالاحترام اللائق أسلم عليك واكتب اليك مذكراً إياك بما كنت قد عرفته منذ عشر سنين ألا وهو ان لغتك العربية قد شغفتني حباً ، وانني لا أزال هائماً بهـا جادّاً في تعلمها إرواءً للذةٍ ذاتية ليس الا . اما الآن فأخبرك ان غبطة البطريرك الانطاكي غريغوريوس و « المجمع العلمي العربي » قد أضافا الى هذه اللذة واجباً من نوعها . اما الأول فبما اكرمني به من إهداء كتب عربية مفيدة وعطف ابويّ

سام . واما الثاني فبتنازله لتشجيعي بتخويله اياي ان اكون من أعضـائه على الرغم من عدم أهليتي لهذه الرتبة الرفيعة . ولذلك قد عزمت ان انشيء في السنة الآتية حلقة لتدريس اللغة العربية في مدرسة كنغاصالا (فينلنديا) التي انا رئيسها قياماً بالواجب المستلزم لذاتي النفسية . فادع لي بالنجاح ولا نتباطأ عني بما عودتني عليه من المؤازرة الادبية وحفظك الله لاخيك المشتاق .

كنغاصالا : في ٢ حزيران سنة ١٩٢٤ يوحنااهنين كرسكو

و يلذ لي ههنا ان اذكر للقراء شيئًا عن حسن تأثير « المجمع العلمي العربي » على صديقي استاذ جامعـة هيلسينغفورس قاعدة جمهورية فينلنديا السيد يوحنا تلغرين فأقول :

يدرّس هذا الاستاذ في الجامعة المذكورة اللغات الرومانية اي المتفرعة عن اللاتينية ولما كان متخصصاً باللغة الاسبانية اضطر الى تعلم اللغة العربية بحكم تأثيرها في الاسبانية . وقد وضع كتاباً ذكر فيه الاسماء العربية المستعملة في اللغة الاسبانية وذيّله بلائحة ذكر فيها اسماء النجوم العربية وهو آخذ في طبعه في اسبانيا . وقد اسعدني الحظ فتعرفت اليه في صيف السنة الماضية في عاصمة بلاده (هيلسينغفورس) ودهشت لسعة معارفه كما انني ابتهجت بشدة محبته للغة العربية وباحتفاله الفائق بمجلة «المجمع العلمي العربي » وقد آلى على نفسه وقتئذٍ ان يخصص جانباً كبيراً من وقته للاهتمام باللغة العربية والسعي في نشر آدابها هنالك .

دير المخلص (لبنان) : الارشمندريت

نوماديو المعلوف

استدراك لغوي

كان مجمعنا العلمي نشر في (عثرات الاقلام) نقداً لقولهم (كثرت المظاهرات في هذه الايام) وقال الصواب ان يقال (التظاهرات) مكان (المظاهرات) لان العرب يقولون (تظاهر القوم بالشيء لا ظاهروا به) هذا ما كان قرره المجمع واريد الآن

ان استدرك عليه فاقول : لاحاجة بنا ان نجعل (المظاهرة) بمعنى (الاظهار) ثم نصححها بالتظاهر بل نقول اول وهلة ان المراد بالمظاهرة المعاونة وهو معناها اللغوي ولا ريب ان الناس في مظاهراتهم السياسية اوالوطنية يعاون بعضهم بعضاً فيها مستعيناً كل واحد منهم باخيه في اعلان رأيه والجهر بمبدأه وهذا كاف في تصحيح كلمة مظاهرة وترويجها بيننا ولسنا في حاجة الى التوفيق بين معناها في لغتنا العربية وبين معنى كلمة — (manifestation) الافرنسية بل لهم كلمتهم ولنا كلمتنا ٠

على ان في كلمة (التظاهر) ما يدعو الى التشاؤم بها من جهة اخرى ذلك ان صيغتها تفيد اظهار ما ليس في الباطن فاذا قلنا (ان الناس تظاهروا او قاموا بتظاهرة) فهم منه انهم في تظاهرهم هذا مستبطنون رأياً او امراً مخالفاً لما اظهروه وجاهروا به هذا ما تفيده كلمة (التظاهر) في صيغتها الصرفيه غالباً ولا ريب ان هذا المعنى لا يريده القائمون بالمظاهرات اصلاً بل هم يأنفون منه وينكرون ان يكونوا قصدوه كل الانكار والذي روج كلمة (التظاهرة) في بادئ الرأي ان التاء تلحق بالمصادر فتفيد معنى الوحدة فالتظاهرة هو مصدر من باب (تفاعل) وتاؤه للوحدة وهو القياس في كل مصدر (كذا) ٠

ولكن الحاق التاء بالمصادر لافادة الوحدة لانظنه قياساً مطرداً في كل مصدر بل هو قياس او كثير في المصادر الثلاثية والرباعية المجردة وفي ابواب الإفعال والمفاعلة والتفعيل وهو لم يسمع قط في باب (التفعل) و (التفاعل) فلا يقول البلغاء (تكلم تكلُّمة واحدة ولا ان القوم تقاتلوا تقاتلة واحدة) ٠

ولعل السر في ذلك ان وجود التاء في اول الكلمة ثم تاء في آخرها ثم ضمة في عينها ثم التشديد في (التفعل) كل ذلك مما يستثقله السمع ويعسر النطق به على اللسان ٠

كنت اشعر بهذا الثقل في كلمة (التظاهرة والتظاهرات) وكذلك كان يشافهني به من أحادثه من الاخوان بشأنها حتى جاءني اخيراً كتاب من صديقي الكريم الامير شكيب وقد قال لي فيه لمناسبة عرضت (بالله اقنعوا الجرائد بان تترك لفظة تظاهرة التي لم اجد اثقل منها) فرأيت اذ ذاك ان استأذن مجمعنا العلمي في اطراح تلك الكلمة واهمالها واعلان امرها في الصحف كي يتحاماها الكتاب و يرجعوا الى كلمة المظاهرة

بمعناها الذي سبق شرحه اعني (المعاونة) او الى كلمة (المجاهرة) وهي لعمري اقوم قيلا واوضح دليلاً لانها نص في معنى اظهار ما في النفس ورفع الصوت به لا سيما انها توافق كلمة (manifestation) الافرنسية التي معناها الاعلان والتصريح والاظهار وهو المعنى الذي يرمي اليه ارباب (المظاهرات) في مظاهراتهم غالباً ٠

« المغربي »

تاريخ الشام في روسيا

بعث الينا العلامة السيد اغناطيوس كراتشقوفسكي عضو المجمع العلمي في لينيغراد قائمة مفصلة بقسم من المخطوطات العربية في المتحف الاسيوي اغنى مكاتب روسيا بالمخطوطات التاريخية التي لها علاقة بالشام وصفها المرحوم العلامة البارون روزن ومن جملتها تاريخ المنصوري (عدد ١٥٩) والدر الثمين لابن قاضي شهبة (١٧٥) ووصف الشام لبعض العلماء (٢٣٦) والرحلات للغزي العامري (عدد ٢٤٠) وسكيكر الشطرنجي الشهير (٢٤١) وحجيج التوحيدي (عدد ٢٤٢) وقد قال رصيفنا ان بعضها كتب بخط مؤلفيها ٠ وارسل الينا مقالته في وصف « كتاب المنازل والديار » لاُسامة بن منقذ (صاحب كتاب الاعتبار) الذي وجد منه نسخة في المتحف الاسيوي وهي على ظنه بخط المؤلف ولها علاقة بالشام قال : انه لا يعرف لها اختاً في بلاد الشام ولا في غيرها من البلاد العربية والغربية وبما ان صاحب البيت أدرى بالذي فيه فأود ان استفيد من رأيكم ٠٠٠



مطبوعات حديثة

المكتبة الاندلسية (١)

« او المكتبة العربية الاسبانية »

كاد الغربيون ان لا يتركوا كتاباً تستفاد منه نكتة في تاريخ العرب وآدابهم وعلومهم وسياستهم وفلسفتهم ودينهم الا وأحيوه بالطبع ، ليكون مداراً للحكم على مدنية كانت مادة المدنيات الحديثة وناقلة المدنيات القديمة . ومما نشر في تاريخ رجال الاندلس مجموعة في تراجم رجال الحديث والفقه وغيرهما من علوم الشريعة والادب لمؤلفين مختلفين وسماها ناشراها المكتبة العربية الاسبانية (F. Codera et J. Ribera: Ribliotheca Orabico-Hispana.) فقد طبع كودرا وربيرا من مستعربي الاسبان في مدينة مجريط (مادريد) اول كتاب من هذه الكتب منذ سنة ١٨٨٢ م وهو كتاب الصلة في تاريخ ائمة الاندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وادبائهم تأليف ابي القاسم خلف بن عبدالملك بن بشكوال جعله على حروف المعجم ككتاب ابن الفرضي وعلى رسمه وطريقته واختصر فيه التراجم فجاء في مجلدين يحويان تراجم ١٤٤٠ رجلاً من تلك الطبقات في ٦٥٠ صفحة ما عدا الفهارس التي ألحقت به .

والمجلد الثالث اسمه بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الاندلس علمائها وامرائها وشعرائها وذوي النباهة فيها ممن دخل اليها او خرج عنها مما وشّى به رياض الحميدي ونمنم ، والحم سداه وتمم ، احمد بن يحيى بن احمد بن عميرة الضبي وفيه ١٥٩٥ ترجمة في ٥٣٢ صفحة عدا الفهارس .

والمجلد الرابع اسمه المعجم في اصحاب القاضي الامام ابي علي الصدفي مما عني بجمعه ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن ابي بكر القضاعي المشهر بابن الاباد وفيه ٣١٥ ترجمة في ٣٢٤ صفحة عدا الفهارس .

والمجلد الخامس والسادس هو كتاب التكملة لكتاب الصلة جمع ابي عبد الله

---

(١) سأل بعضهم وصف المكتبة الاندلسية التي نشرها بعض علماء المشرقيات من الاسبان فكتب الاستاذ السيد محمد كرد علي رئيس المجمع هذه العجالة .

القضاعي البلنسي المعروف بابن الأبار ايضاً وفيه ٢١٥٢ ترجمه في ٧٥٦ صفحة .

والمجلد السابع والثامن في تاريخ علماء الاندلس تأليف ابي الوليد عبد الله بن محمد ابن يوسف الازدي الحافظ المعروف بابن الفرضي وقد حوى ١٧٦٦ ترجمة في ٥٣٤ صفحة ما خلا الفهارس .

والمجلد التاسع والعاشر هو فهرسة ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف ابو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة الأموي الاشبيلي وقع في ٤٦٣ صفحة وقد طبع هذا الكتاب في سرقسطة سنة ١٨٩٣ و به تمت المكتبة الاندلسية . او الذي وصلنا لنا منها طبع في زهاء عشر سنين عشرة مجلدات فيها تحريف وسقط ولكنه يغتفر الى جنب ما هناك من العناية ، ولا سيما الفهارس في اسماء الرجال والبلدان وغيرها مما ورد في كل مجلد ، شأن الكتب التي طبعها الفرنج من كتبنا العربية في بلادهم وغير بلادهم .

هذا العمل عظيم في ذاته لانه يوقف على تراجم رجال عنوا خاصة بالرواية والفقه وسير المشتغلين بها وهي على اختصارها تمثل صورة مجسمة من صور تلك العصور في ديار الاندلس ، وكأن كتاب الصلة لابن بشكوال وبغية الملتمس للضبي والمعجم لابن الأبار والتكملة لكتاب الصلة لابن الأبار ايضاً وتاريخ علماء الاندلس لابن الفرضي — كأن هذه الكتب التي ألفت منها المكتبة الاندلسية كتبت بلهجة واحدة او هي لمؤلف واحد فيها الاختصار الذي يكاد يكون الى الخلل أحياناً ، وليس فيها من البراعة في الوصف ما في كتاب الذخيرة في شعراء الجزيرة لابن بسام الذي صوّر شعراء الاندلس تصويراً كأنك تراه او ابن الخطيب في الإحاطة او ابن خاقان في القلائد والمطمح .

ومع كل هذا فقد ظهرت بهذه الكتب صورة مصغرة من حالة تلك الاعصر من الوجهة الدينية والعناية بعلوم الشرع ، ولاسيما رواية الحديث التي كان لها شأن عظيم في القديم يرحلون بسببها ويتحملون انواع المشاق ويتحرون الصدق في الرواة خذ لك مثالاً من تاريخ ابن الفرضي قال في ترجمة : « عبد الله بن عبد السلام المعروف بابن قلون من اهل قرطبة : سمع من ابن وضاح وغيره من أهل العلم ،

وانقطع الى الله عزّ وجلّ ورفض الدنيا وهرب بنفسه ورحل الى المشرق فسلك مسلك عباد المشرق ، وجاور بمكة فلم يزل على منهج الابدال حتى لقي الله عزّ وجلّ ورد نعيه الاندلس سنة ٣٠٢ ﻫ ٠

وقال في ترجمة : « عبد الله بن وهب من أهل طليطلة رحل فسمع من علي بن عبد العزيز ومن عبد الله بن ابي مسرة وغيرهما وسكن مكة احد عشر عاماً واكثر من الرواية عن رجالها وعن المصريين وكان مألفاً لمن قدم عليه مكة من آفاق بلاد المسلمين من طلاب العلم والعباد ، حتى كان لايشك انه اعلى من يدخل الاندلس من اهلها ، فقدم الاندلس ولم يلبث ان مال الى الدنيا فأمسك النـاس عن الاخذ عنه لذلك توفي سنة احدى او اثنتين وثلاثمائة ذكره خالد » ٠

ولو اردنا الالماع الى ذكر من وصفهم هؤلاء المترجمون بالتقوى والاعتزال عن الناس والزهد في الدنيا وان فلاناً كان مسموع الدعاء وان فلاناً من أبطال الابدال لطال بنا المطال ، وهاك نموذجاً آخر لابن الفرضي فيمن خالف الجمهور في رأيه : محمد بن عبد الله بن مسرة بن نجيح من أهل قرطبة يكنى ابا عبـد الله سمع من ابيه ومن محمد بن وضاح والخشني وخرج الى المشرق في آخر ايام الامير عبد الله رحمه الله ٠ قال لي الخطاب بن مسلمة : اتهم بالزندقة فخرج فاراً وتردد بالمشرق مدة فاشتغل بملاقاة أهل الجدل وأصحاب الكلام والمعتزلة ، ثم انصرف الى الاندلس فأظهر نسكاً وورعاً واغتر الناس بظاهره فاختلفوا اليه وسمعوا منه ، ثم ظهر الناس على سوء معتقده وقبح مذهبه فانقبض من كان له ادراك وعلم ، وتمادى في صحبته آخرون غلب عليهم الجهل فدانوا بنحلته وكان يقول بالاستطاعة وانفاذ الوعيد ويحرف التأويل في كثير من القرآن وكان مع ذلك يدعي التكلم على تصحيح الاعمال ومحاسبة النفوس على حقيقة الصدق في نحو من كلام ذي النون الاخميمي وأبي يعقوب النهرجوري ، وكان له لسان يصل به الى تأليف الكلام وتمويه الالفاظ ، وإخفاء المعاني وقد ردّ عليه جماعة من أهل المشرق منهم أحمد بن محمد بن زياد الاعرابي وأحمد بن محمد بن سالم التستري ولأحمد بن خالد في الرد عليه صحيفة أخبرنا بها عنه ابو محمد الباجي وقال ابن حرث : الناس في ابن مسرة فرقتان فرقة تبلغ به مبلغ الامامة في العلم والزهد وفرقة تطعن عليه

بالبدع ، لما ظهر من كلامه بالوعد والوعيد ، ولخروجه عن العلوم المعلومة بارض الاندلس الجارية على مذهب التقليد والتسليم ، وقال لي الباجي : توفي محمد بن مسرة سنة ٣١٩ وهو ابن خمسين سنة وثلاثة اشهر ٠

هذه ترجمة نابغة اعمل رأيه فخالف الجماعة فكان جزاؤه ما رأيت من التشنيع عليه ، وكم قام في رجال الاندلس وغيرها اناس فاخفت التعصب من اصواتهم فوقفوا في منتصف الطريق مكرهين ، واغضوا على القذى آسفين ، وقتلوا بما قالوا ٠ ولو أبقي عليهم ممتعين بحريتهم لنهضوا بعقول الامة درجة او درجات الى الامام ٠

وهكذا تجد مؤلفي هذه التراجم متعصبين على من تميز من اهل عصره بعلم او نظر عادة قديمة لعلماء المنقولات من الجامدين في معاداة علماء المعقولات من المجددين ٠ فقد ترجم مثلاً ابن الابار ابا العلاء بن زهر احد حسنات الاندلس كما يترجم رجلاً عادياً من ارباب الزهد والانقطاع او الرواية الخفيفة ، فما قاله فيه : انه نشأ بشرق الاندلس وبقايا داره بحصن شاطبة ولم تزل معروفة به الى ان تملكها الروم واجلوا عنها المسلمين وذلك في رمضان سنة ٦٤٥ ٠٠٠ ومال الى علم الطب الذي أخذه عن أبيه فجوّد فيه وأنسى من قبله احاطة به وحذقاً لمعانيه حتى أن أهل المغرب ليفاخرون به وباهل بيته في ذلك ٠٠٠ وحل من السلطان محلاً لم يكن لاحد من أهل الاندلس في وقته وكانت له رياسة بلده ومشاركة ولاته في التدبير وكان مع أمامته في الطب مقدماً في الادب ٠٠٠ ومما قاله في الزهد وأمر أن يكتب على قبره :

ترحم بفضلك ياواقفاً ... وابصر مكاناً دفعنا اليه
تراب الضريح على صفحتي ... كأني لم امش يوماً عليه
أداوي الانام حذار المنون ... فهاءنا قد صرت رهناً لديه

وتوفي بقرطبة منكوباً واحتمل الى اشبيلية فدفن بها سنة ٥٢٥ ٠

وهكذا يوجز أرباب هذه الكتب في تراجم النوابغ في غير علوم الشريعة فقد كتب ذلك المؤلف أيضاً في ابن الحناط الكفيف (المقتبس م ١ ص ٣١٣) الذي هو ثاني المعري أو قرينه ما يأتي : محمد بن سليمان الرعيني الكفيف من أهل قرطبة يعرف بابن الحناط ويكنى أبا عبد الله كان عالماً بالأدب قائماً على اللغة العربية شاعراً مفلقاً

يشارك في الطب وغيره وشعره مدون وله الرسالة المهرجانية التي سماها بوشي القلم وحلي الكرم بعث بها الى الحاجب المظفر ابي بكر بن الافطس وهي من الرسائل البديعة، وكان أول ظهوره ونجومه في الدولة الحمودية بقرطبة ، واليهم هاجر وبهم لحق ، لما خاف من أبي الحزم بن جهور وتوفي بالجزيرة الخضراء في جمادى الآخرة سنة ٤٣٧ ذكره الحميدي وغيره ووفاته عن ابن حيان اه .

وبعد فانا لا نلوم مؤلفي هذه التراجم على ايجازهم في تراجم غير رجال الحديث او الفقه ماداموا قد التزموا الايجاز ، فقد رأيناهم فعلوا مثل ذلك في التعريف برجال الدين كما فعل بن بشكوال في ترجمة ابن المكوى الاشبيلي كبير المفتين بقرطبة الذي انتهت اليه رياسة العلم بها أيام الجماعة وغاية ما قال فيه : انه من أهل المتانة في دينه والصلابة في رأيه والبعد عن هوى النفس لايداهن السلطان ، ولا يميل معه بهوادة ، ولا يدع صدقة في الحق اذا ضايقه ، وكان القريب والبعيد عنده في الحق سواء ، دعي الى القضاء بقرطبة مرتين فأبى ...

وكما اختصر ابن الفرضي في ترجمة عيسى بن دينار الغافقي وهو الذي كان يقول فيه محمد بن عمر بن لبابة : فقيه الاندلس عيسى بن دينار وعالمها عبد الملك بن حبيب وعاقلها يحيى بن يحيى ، ولو رزق هؤلاء المؤلفون بياناً في تصوير الرجال كما صور بن بشكوال ابن كوثر الانصاري لجاءت هذه من الكتب أمتع مايستفيد منه المستفيد قال: احمد بن سعيد بن كوثر الانصاري من أهل طليطلة يكنى أبا عمر كان فقيهاً متفنناً كريم النفس أخذ عن جماعة من العلماء ببلده وأجاز له جماعة من شيوخ قرطبة مع ابيه ذكره ابن مطاهر وقال : حدثني عبد الله بن سعيد بن أبي عون أنه قال : كنت آتي اليه من قلعة رباح وغيري من المشرق وكنا نيفاً على اربعين تلميذاً فكنا ندخل في داره في شهر نوفمبر ودجنبر وينير في مجلس قد فرش ببسط الصوف مبطنات ، والحيطان باللبود من كل حول ووسائد الصوف ، وفي وسطه كانون في طول قامة الانسان مملوءاً فحماً يأخذ دفئه كل من في المجلس ، فاذا فرغ الحزب أمسكهم جميعاً وقدمت الموائد عليها ثرائد بلحوم الخرفان بالزيت العذب وأيام ثرائد اللبن بالسمن او الزبد فنأكل تلك الثرائد حتى نشبع منها ويقدم بعد ذلك لوناً واحداً ونحن قد

روينا من ذلك الطعام فكنا ننطلق قرب الظهر مع قصر النهار ولا نتعشى حتى نصبح الى ذلك الطعام الثلاثة الاشهر ، فكان ذلك منه كرماً وجوداً ونخراً لم يسبقه احد من فقهاء طليطلة الى تلك المكرمة ، وولي أحكام طليطلة مع يعيش بن محمد ثم استثقله ودبر على قتله ، فذكر ان الداخل عليه ليقتله الفاه وهو يقرأ في المصحف فشعر انه يريد قتله فقال له : قد علمت الذي تريد فاصنع ما أمرت فقتله وأُشيع في الناس انه مرض ومات رحمه الله وذكر ابن حيان انه مات معتقلاً بشنتربن مسموماً سنة ٤٠٣ .

هذه نموذجات من المكتبة الاندلسية تبين درجتها في نفع المشتغلين بتاريخ تلك البلاد ورواتها وفقهائها وقد يأتي اولئك المترجمون في ترجمة الرجال باشعار بالمناسبة وربما ترجموا بعض النساء وهاك نموذجاً لابن بشكوال في ترجمة مريم الفيصولي قال : مريم بنت ابي يعقوب الفيصولي الشلبي الحاجة اديبة شاعرة مشهورة كانت تعلم النساء الادب وتحتشم لدينها وفضلها ، وعمرت عمراً طويلاً ، سكنت اشبيلية وشهرت بها بعد الاربع مائة ذكرها الحميدي وقال : انشدني لها اصبغ بن سيد الاشبيلي :

وما يرتجى من ابن سبعين حجة وسبع كنسج العنكبوت المهلهل
تدب دبيب الطفل يسعى الى العصا ويمشي بها مشي الاسير المكبل

قال الحميدي : واخبرني ان ابن المهذب بعث اليها بدنانير وكتب اليها :

مالي بشكر الذي اوليت من قبل لو انني حزت نطق الانس والخبل (?)
يافردة الظرف في هذا الزمن ويا وحيدة العصر في الاخلاص والعمل
اشبهت مريماً العذراء في ورع وفقت خنساء في الاشعار والمثل

فكتبت اليه :

ماذا يجاريك في قول وفي عمل وقد بدرت الى فضل ولم تسل
مالي بشكر الذي نظمت في عنقي من اللآلي وما اوليت من قبل
حليتني بحلي اصبحت زاهية بها على كل انثى من حلي عطل
لله اخلاقك الغر التي سقيت ماء الفرات فرقت رقة الغزل
اشبهت في الشعر من غارت بدائعه وانجدت وغوت من احسن المثل
من كان والده العضب المهند لم يلد من النسل غير البيض والاسل

هذه البضعة الالوف من المترجمين من رجال الدنيا والدين الذين نشأوا في الاندلس وصرفوا اعمارهم في التعلم والتعليم هم لاجرم جزء ممن نشأوا في تلك الارض الطيبة التي دخلتها العرب سنة ٩٢ ه ٧١١ م وخرجوا منها سنة ١٦٠٩ م خروجاً قطعياً اي انهم بقوا هناك ثمانية قرون كانت غرائب كلها سعودها اكثر من نحوسها في الجملة ٠

المرشدات

(تأليف السيدة (الس ابكار يوس) وقد نقله الى اللغة العربية)
(السيد جبرائيل جبور ب٠ع في ٣٠٠ صفحة بالقطع الصغير وطبع)
(في مطبعة طبارة ببيروت)

ارادت المؤلفة بالمرشدات (كشافة البنات) ولا يخفى ان (الكشاف والكشافة) اسم لطريقة جديدة في تربية الاحداث اقتبسها اخيراً الاتراك من الاوربيين ودعوها بهذا الاسم (كشاف وكشافة) ثم اخذناها نحن معشر العرب عنهم بهذا الاسم ومدار تلك الطريقة على تربية الاحداث تربية الاحداث تربية تجمع بين تقوية الجسم وتقوية النفس من حيث يؤدي ذلك الى خدمة المجتمع الانساني ٠ ولا نعلم لما ذا سميت هذه الطريقة بهذا الاسم وكأن مؤلفة هذا الكتاب لم يعجبها تسمية (الكشاف والكشافة) بالنسبة للبنات فعدلت عنها الى كلمة (المرشدات) ونرى نحن ان كلا التسميتين (الكشافة والمرشدات) مما يمكن الاستغناء عنه بكلمة (الفتوة) العربية فان اصل معناها المروءة والكرم والسخاء ثم توسع فيها فصار يطلق الفتى على الكامل من الناس الجامع لصفات الكمال ولا جرم ان طريقة التربية التي هي مدار (الكشافة والمرشدات) انما ترمي في تربية الاحداث في هذا الغرض لاسيما ان لكلمة (الفتوة) اصلاً في التاريخ العربي يلتحم جداً مع طريقة (الكشاف) فقد قام في اثناء تمدن بني العباس جماعات من فتيان العرب والفوا لانفسهم طريقة دعوها الفتوة ودعوا انفسهم بالفتيان وخصوا انفسهم بشارات وعلامات امتازوا بها وكانوا يمارسون تقوية البدن واعمال الشجاعة والاقدام وايصال الخير والنفع لكل من استعان بهم ومقاومة البغي والعدوان وغير ذلك من الصفات الكريمة

ولذلك دعوا طريقتهم (الفتوة) وشاعت هذه الطريقة في القرون الاول وصار لها تأثير في المجتمعات العربية حتى ان بعضاً من خلفاء بني العباس دخل في سلكها وتحلى بشاراتها وعلاماتها . ولا يخفى ان تصريف (الكشاف والكشافة والمرشد والمرشدات) فيه نوع من العسر بخلاف الفتوّة فيقال فتي الغلام فتوّة وفتاءً اذ صار فتىً اي شاباً مهذباً سليم الاخلاق و (فاتى) فلان فلاناً (ففتاه) اذا سابقه و باراه في اعمال الفتوة فغلبه واربى عليه (وتفتى) الرجل كان ذا فتوة وهكذا وجمع الفتى (الفتيان) فيطلق على الكشافة الذكور وكذلك كلمة (الفتيات) تطلق على الكشافة الاناث مكان المرشدات .

هذا ويظهر لكل من تصفح كتاب (المرشدات) ان مؤلفته بذلت الجهد في ان يكون كتابها اكمل ما وضع في هذا الباب فهي قد تقصت البحث فيه ولم تدع شاردة من هذا الفن الا قيدتها في كتابها فتكلمت عن تاريخ هذه الطريقة وظهورها في بلادنا السورية وقوانينها واوسمتها ورموزها وحفلاتها وتمارينها وطرائق التمريض والقيام بالرحلات ورسم الخارطات والاسعافات والعناية بالاطفال وتنظيم الالعاب الخ .

ولما كان الفرق طفيفاً جداً بين (الفتيان) و (الفتيات) الذين ينخرطون في سلك (الفتوة) كان هذا الكتاب (المرشدات) مما تفيد مطالعته لكل من الفتيان والفتيات وللاساتذة الذي يمارسون هذا الفن فن (الفتوة) وقد قدمت مؤلفة الكتاب كتابها الى (الفتاة العربية الناهضة في كل مكان) وافتتحه مترجمه الفاضل بمقدمة جزيلة الفائدة نشكره عليها لاسيما قوله : (اني اتيت على ذكر عدد كبير من الاصطلاحات العلمية والاوضاع التي تختص بالقيادة (؟) والتعليم في هذا الفن لعلني كنت السابق اليها) ثم طلب من اهل هذا الفن ان يحافظوا على اوضاعه واصطلاحاته المذكورة . ولقد عرضت عليه انا كلمات (الفتوة) و (تفتى) و (الفتيان) و (الفتيات) لتحل محل كلمتي (الكشاف والمرشدات) اللتين تجعلان تفرقة ظاهرة بين الذكور والاناث من جهة وتورث اهل هذا الفن ارتباطاً في كيفية التصريف واشتقاق افعال وصفات من هاتين الكلمتين بخلاف كلمة (الفتوة) كما اشرنا ، و بالجملة فان مجمعنا يشكر المؤلفة

الفاضلة ولمترجم كتابها عنايتها واهتمامها في خدمة ناشئة العرب ويتمنى للكتاب الرواج اللائق به وثمنه ورقة سورية فقط .

المغربي

الاسلام واصول الحكم

بحث في الحكومة والخلافة في الاسلام

تأليف الشيخ علي عبد الرازق طبع بمصر سنة ١٣٤٣ هـ — ١٩٢٥ م ص ١٠٣

مؤلف هذا السفر الصغير بجرمه الكبير بفائدته من علماء الازهر الشريف وقضاة المحاكم الشرعية ألف هذا في الخلافة بعد درس عشر سنين تعرض فيه للخلافة وطبيعتها ولحكمها وللخلافة من الوجهة الاجتماعية ولنظام الحكم في عصر النبوة وللرسالة والحكم وللوحدة الدينية والعرب وللدولة العربية كل ذلك ببلاغة تستهوي القلوب ، وتنسيق تظنك تقرأ سفراً الفه عالم غربي ولكن بلسان عربي مبين دعائمه الكتاب والسنة والتاريخ الصحيح ، دخل منها الى ساحة مطلقة من الفكر ، واثبت ان الخلافة ما كانت الا ملكاً وسلطاناً وليست من الدين في شيء ولذلك رأينا (ص ٢٣) « ان مقام الخلافة الاسلامية كان منذ الخليفة الاول ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه الى يومنا هذا عرضة للخارجين عليه المنكرين له ولا يكاد التاريخ الاسلامي يعرف خليفة الا عليه خارج ولا جيلاً من الاجيال مضى دون ان يشاهد مصرعاً من مصارع الخلفاء » . وقد اثبت (ص ٣٣) « ان الكتاب الكريم قد تنزه عن ذكر الخلافة والاشارة اليها . وكذلك السنة النبوية قد اهملتها وان الاجماع لم ينعقد عليها » وقال (ص ٣٦) ان الخلافة كانت ولم تزل نكبة على الاسلام وعلى المسلمين و ينبوع شر وفساد وان الاسلام غني عن تلك الخلافة الفقهية » وان (ص ٥٥) «الملك الذي شيده الرسول عليه الصلاة والسلام هو عمل دنيوي لاعلاقة له بالرسالة فذلك قول ان انكرته الاذن لان التشدق به غير مألوف في لغة المسلمين فقواعد الاسلام ومعنى الرسالة وروح التشريع وتاريخ النبي صلى الله عليه وسلم كل ذلك لايصادم رأياً كهذا ولا يستفظعه » (٧٩) « ولا يريبنك هذا الذي ترى احياناً في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم فيبدو لك كأنه عمل

حكومي ومظهر للملك والدولة فانك اذا تأملت لم تجده كذلك بل هو لم يكن الاوسيلة من الوسائل التي كان عليه صلى الله عليه وسلم ان يلجأ اليها تثبيتاً للدين وتأييداً للدعوة » وقال (٨٦) « كانت وحدة العرب كما عرفت وحدة اسلامية لا سياسية وكانت زعامة الرسول فيهم زعامة دينية لا مدنية ، وكان خضوعهم له خضوع عقيدة وايمان لاخضوع حكومة وسلطان ، وكان اجتماعهم حوله اجتماعاً خالصاً لله تعالى يتلقون فيه خطرات الوحي ونفحات السماء » وبهذه الانموذجات تبين للقارئ ما يرمي اليه المؤلف العلامة وكتابه كتاب سياسي ديني وكان حظ العلوم السياسية في المسلمين على ما يلاحظ (٢٢) من تاريخ الحركة العلمية عندهم « بالنسبة لغيرها من العلوم الاخرى اسوأ حظ وان وجودها بينهم كان اضعف وجود فلسنا نعرف لهم مؤلفاً في السياسة ولا مترجماً ، ولا نعرف لهم بحثاً في شيء من انظمة الحكم ولا اصول السياسة ، اللهم الا قليلاً لا يقام له وزن ازاء حركتهم العلمية في غير السياسة من الفنون » .

م . ك

مصرف مصر

اهدتنا ادارة بنك مصر مجموعة اعمال المصرف منذ انشائه سنة ١٩٢٠ وهي في بضعة كراريس مستقلة ومن جملتها خطاب القاه احد مؤسسي هذا المعهد المالي سعادة محمد طلعت بك حرب وقصيدة امير شعراء مصر احمد شوقي بك يوم الاحتفال :

قف بالممالك وانظر دولة المال ... واذكر رجالاً ادالوها بإجمال
وانقل ركاب القوافي في جوانبها ... لا في جوانب رسم المنزل البالي
ما هيكل الهرم الجيزي من ذهب ... في العين ازين من بنيانها الحالي
علا بها الحرص اركاناً واخرجها ... على مثال من الدنيا ومنوال
فيها الشقاء لقوم والنعيم لهم ... وبؤس ساع ونعمى قاعد سال
والمال مذ كان تمثال يطاف به ... والناس مذ خلقوا عباد تمثال
اذا جفا الدور فانع النازلين بها ... او الممالك فاندبها كأطلال
يا طالباً لمعالي الملك مجتهداً ... خذها من العلم او خذها من المال

بالعلم والمال يبني الناس ملكهمُ لم يبن ملك على جهل واقلال
كانت من التاج مصر حيث تلبسه فعضها العسر فاعتاضت بأغلال
تشكو الى الله والمصري ما لقيت من ساسة بمكان المال جهال
سراة مصر عهدناكم اذا بسطت يد الدعاء سراعاً غير بخال
تبين الصدق من مين الامور لكم فامضوا الى الماء لا تلووا على الآل
لا يذهب الدهر بين الترّهات بكم وبين زهر من الاحلام قتال
هاتوا الرجال وهاتوا المال واحتشدوا رأياً لرأي ومثقالاً لمثقال
هذا هو الحجر الدريُّ بينكمو فابنوا بناء قريش بيتها العالي
دار اذا نزلت فيها ودائعكم اودعتمُ الحبّ ارضاً ذات اغلال
آمال مصر اليها طالما طمحت هل تبخلون على مصر بآمال
فابنوا على بركات الله واغتنموا ما هيأ الله من حظ وإقبال

هدايا للمجمع

اهدى السيد عبد الله بك الاستاذ المحامي بدمشق الى مجمعنا العلمي مجموعة رسائل طبية . (اولها) اسماء الادوية بالعربية والفارسية والسريانية والرومية واليونانية ثم ماهيتها واختيارها وطبائعها ومنافعها ومضرتها واصلاحها بشكل جداول وفيه خرم و(ثانيها) دستور الادوية المركبة المستعملة المتداولة في اكثر البيمارستانات بمصر والشام والعراق وحوانيت الصيادلة جمعه ابو الفضل داود بن ابي البيان المتطبب نسخة كاملة كتبت سنة ٧٩٧ هـ . و (ثالثها) تقدمة المعرفة لابقراط الحكيم مخرومة وبعد ذلك اوراق مختلفة في الطب وغيره غير مرتبة يرجع تاريخها الى القرن الثامن .

قطعة		
	قاعدة عمود رومانية	هدية السادة مهدي وعبده مرتضى
	لوحة مصرية صغيرة عليها صورة الثور ابيس	هدية نصوح بك العابد
	رقاع غزال احدهما بقطع كبير كتب عليه بالكوفي اول سورة الروم وآخر سورة العنكبوت والثاني قطع وسط كتب عليه بالكوفي قسم من سورة المؤمن من القرن الثالث والرابع	هدية السيد محمد الحمصي
	رسم يمثل قطعة قاشاني من تصوير مهديها	خالد بك معاذ
١٣١	نقود نحاسية رومانية و بزانطية	هدية فؤاد افندي الفرا
١٠٢	نقود اموية وعباسية وتركمانية وعثمانية	خالد افندي يحيى من اعيان طرابلس الشام
٨٠	نقود نحاسية اسلامية ايوبية وتركمانية وعثمانية	
٢٠	نقود رومانية	هدية رفيق بك العظم
١	دينار عثماني ضرب ادرنه	
	جرن حجري صغير قطعة حجرية مكتوبة باليونانية زجاجة واحدة رومانية	هدية السيد محمد علي الحلبي